العيد الذهبي لاتحاد الكتاب العرب
2019 - 1969

الأدبي الأسبوع

www.awu.sy

الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي - "السنة الواحدة والثلاثون" العدد: "1678" الأحد 1/3/2020م - 6 رجب 1441 هـ | 16 صفحة | 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

لوحتان للفنان التشكيلي
عبد الحميد فياض

•مالك صقور

كلمة أولى

غصن فلسطين

.. غصن فلسطين.. هذا عنوان قصيدة لشاعر روسيا الكبير ميخائيل ليرمنتوف، الذي اشتهر بُعيد مقتل شاعر روسيا العظيم آلكسندر بوشكين. وقد ذاع صيته حين ألقى قصيدته: (موت الشاعر) التي يرثي فيها أستاذه بوشكين الذي قضى إثر مؤامرة دنيئة، أنهت حياة عبقري من عباقرة روسيا وأوروبا في حينها.

مرثية ميخائيل ليرمنتوف (موت الشاعر) نُسخت، وطبعت، ووزعت في أرجاء روسيا، وهذه القصيدة كانت سبب شهرة الشاعر الكبير الذي أصبح خلفاً لبوشكين.

في هذه القصيدة، عبّر ليرمنتوف عن سخط الشعب الروسي على النظام القيصري الذي تآمر على أكبر شاعر روسي، والذي يطلق عليه شمس الشعر الروسي، ومؤسس اللغة الروسية المعاصرة، ويدين المجرمين القتلة، الذين اغتالوا بوشكين وهو في قمة العطاء.

وفي الوقت نفسه عبّر عن الحزن العميق على مقتل أعظم شعراء روسيا طراً. طارت قصيدة «موت شاعر» وحظيت بالشهرة الواسعة، وأصبحت وثيقة إدانة لنظام القنانة والقمع والاستبداد، فاغتاظ القيصر وأجهزته وبطانته، واعتبروا هذه القصيدة دعوة للثورة، فاعتقلوا ليرمنتوف، ومن ثم أمروا بنفيه إلى القفقاس، كما عوقب بتكسير رتبته.

وهكذا يكون قدر ليرمنتوف مشابهاً لقدر بوشكين سلفه وأستاذه، كما لاقى المصير نفسه، حيث اغتالوه بمؤامرة (المبارزة)، وإن كان قد عاش بوشكين (37) عاماً، فإن ليرمنتوف عاش (27) عاماً فقط.

تأثر ليرمنتوف ببوشكين جداً، فقلّده، وكتب حتى قصائد تحمل بعضاً من عناوين بوشكين مثل: (النبي) و(الشيطان)؛ كما ونهل من المنهل الذي نهل منه بوشكين. ولا شك أنه هضم كل أعمال بوشكين الإبداعية، ومنها تأثر بوشكين بالقرآن، والسيرة النبوية، بالإضافة إلى معايشة الشعوب الإسلامية في القفقاس.

وقد انعكس ذلك في إبداعه، فنجده، كما بوشكين، يستخدم أسلوب القَسَم كما في القرآن الكريم:

أقسم بنجمة المساء
أقسم بشعاع الغروب والشروق
أقسم بأول يوم للخليقة
أقسم بيوم القيامة
أقسم بالسماء والنار..

وثمة قصائد أخرى، يذكر النبي محمد (e) وقيام الساعة، إلخ، ولكن في قصيدته (غصن فلسطين) تجلى اهتمام ليرمنتوف بالمشرق العربي، وبالثقافة الإسلامية في قصائده: (ثلاث نخلات)، و(الرسول) وغيرهما.

في قصيدته غصن فلسطين يقول:

- يا غصن فلسطين، قل لي:
أين نموت وأين أزهرت؟
هل غازلك شعاع الشرق؟
عند مياه نهر الأردن المقدس؟
هل هزتك حانقةً
رياح الليل
في جبال لبنان؟
هل رتّل أبناء القدس الفقراء
صلاتهم بتقية؟
أم غنوا أغانيهم القديمة؟
وهم يضفرون أوراقك؟
وتلك النخلة أما تزال حية؟
أما زالت تغري بأوراقها النضرة
عابر السبيل في الصحراء
في قيظ الصيف
أم أنها مثلك ذبلتْ؟

في هذه القصيدة، يرسم ليرمنتوف صورة فلسطين، القريبة من الصحراء العربية، متخذاً من (غصن الزيتون) رمزاً للسلام، فتارة يطلق عليه غصن فلسطين، وتارة غصن القدس، كذلك النخلة التي آوت إليها السيدة مريم العذراء، مذكراً بفلسطين كمهد للديانات السماوية، وبطبيعة جبال لبنان الخلابة.

وظيفة الأدب في تاريخ الشعوب

•عيد الدرويش

يشكل الأدب منظومة معرفية واسعة وحاملاً موضوعياً ورافعة حقيقية في تاريخ وعي الإنسان عبر العصور،لأنه ينقل بين ثناياه المعارف والعلوم والعادات والفنون وكل الطقوس التي يعيشها المجتمع،كما يحمل كل هواجسه وتأملاته وإخفاقاته، فالمصفوفة الأدبية بكل ألوانها وأشكالها ومفرداتها، تهدف لترسيخ قيم الحق والخير والجمال في حياة الشعوب، وهي القيم النبيلة التي ساهمت في تنمية الوعي لكل مجتمع من المجتمعات فقد شهد التاريخ القديم أمم وحضارات دارسة ملاحم أدبية لازالت تطنب آذان المفكرين والمثقفين في كل أرجاء العالم لأنها تعطي صورة وهوية المجتمع الذي صاغها ناقلاً فيها كل جوانب حياته ومنظومة عمله في إطارها الكلي أضفت على بعض مفرداتها المهابة والقداسة، وبقيت هذه الملاحم تعبر عن ثقافة وخصوصية شعب أو حضارة تفردت فيها عبر التاريخ الإنساني، مثل ملحمة هوميروس الأغريقية التي أعطت حالة روحية وفكرية لحضارة الإغريق وشملت خصائص وطباع مجتمعهم وكذلك الإلياذة والأوديسة اليونانية وملحمة جلجامش الرافدية في بحثها عن الحياة والخلود، والشاهنامة الفارسية، والمهابهارتا الهندية، وغيرها.. كلها عكست تلك الحياة التي استطاعت أن تصورها في أدق تفاصيلها في الحياة العامة بصور أدبية من شعر وطقوس عامة بقي العقل الإنساني يرمها مستمداً منها الكثير من القيم والتعابير والمواعظ، ويستند إليها بعض الباحثين ليزين بحوثه ودراساته وتدعيمها بالشواهد والركائز الملحمية أو يتناولها من حيث الإبداع الفني والأدبي في تلك العصور، ولم تقف هذه الوظيفية عند هذا الحد فحسب، بل تعداها لأن يشكل الأدب الخصوصية والهوية والإنتماء لأي شعب من الشعوب فإذا تمايزت الأمم والحضارات بأفعالها فقد تمايزت في إنتاجها المعرفي والأدبي، في رصدها لتفاصيل وعيها الفردي والجمعي وتباييناته الفكرية والثقافية، فالعلاقة بين أفراد المجتمع ضمن البيئة والوسط الذي يعيشون فيه، تلخص حياة المجتمع وإرهاصاته قديماً وحديثاً وما جسده في الروايات التي دوّنها الكتاب في كل مجتمع في صياغة فنية وفق نواظم الأدب سواء في القصة أو الشعر أو المسرح والدراسات، وصياغة الأسلوب الأدبي كل ذلك كان زاداً معرفياً وذخيرة فكرية قدمتها الشعوب والحضارات ساهمت إلى حد كبير في بناء ركائز حضارات تلتها، ليطلع كل قارئ على تفاصيل حياة بشرية متكاملة، ويعرف من خلالها بواطن الأمور وخفايا حركة المجتمع ممزوجاً بالطقوس وقصصه وحكاياه، وعما يجول في أنفسهم من خيالات أو طموحات وأفكار في نسج القصة والرواية يدوّن الكاتب هواجس المجتمع في سرده وتحميل شخصياته ما يريد أن يلقنه للأجيال ويظل الكاتب متخفياً خلف شخوصة، وكل ذلك ليرسم قيمة مثلى في الحياة أو يؤكد فضيلة تسود فيما بين المجتمع ليتناقلها المجتمع من جيل إلى آخر وبعض الموضوعات التي يسعى الكاتب لمعالجتها من خلال رفض الشخصيات لها أو ليبين آثارها الهدامة على المجتمع من خلال ما يضع ذلك في الشخصية التي ينظر إليها المجتمع بازدراء ويتناول الكاتب الجوانب الاجتماعية والمعرفية والتربوية بما هو سائد من أعراف وتقاليد، لأن رؤية الكاتب تختلف عن رؤية الإنسان العادي لتميزه في النظرة الدقيقة في الأحداث وتفاصيل الحياة ليقدمها باسلوب مشوّق وممتع ويعرض زوايا غير واضحة بشكل جلي لعامة الناس،ويصطنع لها الأحداث أو يستقيها من الواقع كما يريد، ليصل إلى ما يصبو إليه محملاً بطل الرواية أو شخصياتها الثانية الأفكار والمعايير التي تهدف لمعالجة الشقاء الإنساني ومعاناته عبر التاريخ.

من هنا كان الأدب صورة للحياة العامة للمجتمع وسجلها الكامل ومنظومته القيمية وتفاعلاته الداخلية والخارجية وفق روائز الأدب ومعاييره وكثيراً ما يستنطق بها المجهول أو يحاكي الطبيعة أو يحاور الماورائيات ويظهر لواعج النفس البشرية، فالكاتب يعبر عن حالة الفرد والمجتمع، ويصوغ الصورة البانورامية في عمله الأدبي ومركزاً الجوانب التي تلامس حياة الناس في حالة الحرب وفي حالات الرخاء،والأدب لا يتوقف على لون من ألوان الحياة، لكنه يبرز الأهمية التي يتناولها في الرصد والنقل محملاً بالكثير من المعطيات التي تعبر عن ملحمة متكاملة بأسلوب شيّق تظهر فيها الكثير من العناصر وحواملها، ترصدها الرواية أو القصة وتبرزها بشكل واضح وجلي في سمات متعددة للعادات والتقاليد في نظرة ملحمية، وتصبح مهمة الأدب أولاً وأخيراً حفظ تاريخ وحضارة الأمم والشعوب وثقافة وتراث المنطقة وهي وظيفة متعددة الأغراض والأهداف، في مقدمتها ترسيخ القيم الإنسانية والأخلاقية والوطنية، التي تعزز وتنمي الشعور الإنساني،لأن الأسلوب الأدبي يساعد على نقل هذه القيم بسهولة ليتقبلها أبناء المجتمع، ويبقى الأدب معياراً حقيقياً لثقافة وهوية كل أمة وحضارة عبر التاريخ...!!

لغتنا الجميلة

• معاوية كوجان

لا أدري كيف ينسى نفرٌ من الناس أن أفعالاً كظلَّ وأضحى وما دام هي أفعالٌ ناقصة، من أخوات كان، يكون اسمها مرفوعاً وخبرها منصوباً .ونعجب من توارد وتداول هذه الأفعال في جملٍ وعباراتٍ فيها ما فيها من الخطأ الواضح. يقولون: سيظلُّ هذا الأمرُ هدفُنا ،بضمِّ الدال المشددة لا نصبِها. وأضحى الموضوع الفلانيُّ معلَّقٌ، بضمِّ القافِ لا نصبِها. ووجه السلامة والصواب أن نرفع اسم هذين الفعلين وننصب خبرهما: ما انفك طارقٌ مثابراً. وظلَّ الخبرُ سِرَّاً.

يلفظ بعضُ الناس كلمة (بَيْدَ) بكسر الباء، ومنشأ ذلك عن قلة قراءاتهم واهتمامهم باللغة العربية، ومعلوم أن (بَيْدَ) من أدوات الاستثناء وهي (إلا وغير وسوى وخلا وعدا وحاشا). وتُضاف (بيد) إلى مصدر مؤوَّلٍ من "أنَّ" وما بعدها: نقول:

الشِّعر فنٌّ جميل، بَيْدَ أنه صعبٌ.

أذكِّرُ أحبتي القراء بأن جمع (مدراء) جمعٌ خاطئ لكلمة مدير، ووزنه (مُفْعِل)، أما (مدراء) فوزنها (فُعَلاء) وهي جمع (فَعِيل)، كأمير وتُجمع على أمراء، ونظير، وتجمع على نظراء. نقول على وجه الصواب: اجتمع مديرو المؤسسات.

كما أذكِّرُ بأن ألف (ابن) تُحذف بعد النداء. نقول: يا بن الأكرمين. يا بن أبي عبدالله.

وعاشت لغتنا رابطة تؤلف بيننا ما عشنا.

رحيل الشاعر محمود كلزي

نعى اتحاد الكتاب العرب الأديب والشاعر :

محمود حاج عمر كلزي

الذي وافته المنية في الأسبوع الماضي.

المرحوم عضو اتحاد الكتاب وعضو جمعية الشعر.

رئيس اتحاد الكتّاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي والمجلس والاتحاد يتقدمون بخالص العزاء والمواساة لذويه.. راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه الجنة، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

الحالم الأبدي بنصر لا بد أن يأتي

•ناجي العلي: هو الاسم الحركي لفلسطين.. وهو «الاسم» الحركي لقضية الثورة

•حطّم الفنان بقدرته على التواصل، ردهات المفاهيم السادية بين الفنان والمتلقّي

• محمد مروان مراد

ثار المناضلون عبر حقب التاريخ على قوى الشر والعدوان والاحتلال الهمجي، وكان سلاح المقاتلين في ساحات المواجهة إرادة صلبة، وسواعد قوية تصدّت للغزاة بالسيف والبندقية. وقاوم المفكّرون والشعراء أعداء الحرية بالكلمة الحرّة والقصيدة الوطنية النابعة من نفوس أبية ترفض الخنوع والاستسلام.. أما الفنانون، فكان سلاحهم الرسوم – وبخاصة الكاريكاتورية منها – تبدعها الأقلام الشريفة، والريشة المقتدرة المبدعة.

وإذا كانت قصائد الشعراء قد ألهبت مشاعر الجماهير، وأجّجت حماسها لمقاومة الغاصبين، فإنّ الرسم الكاريكاتوري جسّد بجدارة مشاعر الناس، وأفصح عن مكنونات نفوسهم، وبالتالي فقد مثّل سلاحاً فعّالاً، واجه الطغيان، وهزّ عروش الجبابرة، وصفحات التاريخ شاهدة على الدور الخطير الذي أدّاه الرسم الكاريكاتوري ببساطة وعفوية وبجرأة، في تبصير الناس بمعاناتهم وتحريضهم على الثورة ضد أوضاعهم السياسية والاجتماعية.

• الكاريكاتير.. لسان صريح مؤثّر:

ظهر الكاريكاتور في الصحافة العربية، في مرحلة متأخرة من القرن العشرين الماضي، واهتمّت الصحافة العربية – وفي مقدمتها المصرية – بمجموعة من رسّامي الكاريكاتير الذين عرّفوا الناس على هذا الفن البسيط الجميل العفوي والجريء من خلال أعمالهم التي دارت محاورها حول – النقد السياسي الموجّه للاحتلال الأجنبي، وللطبقات السياسية، وكذلك حول عيوب المجتمع وسلبيات الحياة، ولقد فعلت هذه الرسوم فعلها، وتمكنت من أن تكون لسان حال أبناء المجتمع، وبمرور الأيام، صارت ركناً ثابتاً في الصحافة العربية، تفصح صراحةً أو تلميحاً عمّا يختلج في النفوس، لقيت في عملها ضغوطاً شديدة، وعانت قهراً وإغلاقاً، ولم يزدها ذلك إلا جرأة واندفاعاً في أداء رسالتها..

• الكاريكاتير.. ثورة وحرب على الطغيان:

قُدّر لي خلال عملي في الإعلام، أن ألتقي كوكبة من روّاد الحركة التشكيلية، وفيهم كوكبة من رسّامي الكاريكاتير، الذين أغنوا الصحافة العربية برسومهم، ولفتوا إليهم الانتباه بأعمالهم النقدية الساخرة التي سلطت الضوء على قضايا الوطن السياسية والاجتماعية، وقد حظيت قضية العرب المركزية – اغتصاب فلسطين – بنصيب كبير من تلك الأعمال، فكانت حرباً على أساليب المستعمر الغاصب من جانب، ومحرّضاً للجماهير على الكفاح والصمود من جانب آخر..

لكن لقائي بالفنان المبدع «ناجي العلي» في أمسية من شباط 1985، بصالة الفنون بمدينة الكويت، وكان الموعد مع معرض خاص بأعمال الفنان، ذلك اللقاء مثّل لي حدثا بالغ الأهمية، فقد تعرفت إلى نفس إنسانية شفافة، بالشجن، وقريحة لمّاحة، وعينين متّقدتين بالحماس، اجتمع ذلك كله في شخص نذر حياته للوطن السليب بكل صدق وإيمان.

• ناجي العلي.. مسيرة تشرّد وعطاء:

تمهّلت قليلا وأنا أتقدّم من الفنان، ورحت أستعرض شريط الذكريات وأتوقف عند محطات رئيسة من مسيرته الحافلة بالألم والأمل.. كانت البداية من قرية «الشجرة» (بين طبرية والناصرة) في فلسطين، حيث ولد «ناجي العلي» عام 1937، ولما صار في العاشرة من عمره بدأ رحلة التشرّد مع أهله، مع استيلاء الصهاينة على الأرض المقدسة عام 1948، قادته الرحلة إلى مخيم «عين الحلوة» في جنوب لبنان، حيث تعرّض للاعتقال من الجيش اللبناني بسبب نشاطه الوطني، وفي السجن راح يرسم مشاعره على جدران زنزانته فيثير بها حماس الرفاق، وما لبث بُعيد الإفراج عنه، أن غادر إلى «طرابلس» ونال فيها شهادة «ميكانيكا السيارات» وتزوج ورُزق أربعة أولاد..

• في العام 1961، زار الأديب الفلسطيني «غسان كنفاني» مخيم (عين الحلوة)، واطلع على رسوم «ناجي العلي» المعبّرة، فاختار واحدة ونشرها في مجلة «الحرية» وقد فتحت هذه اللوحة الطريق أمام «العلي» ليسافر

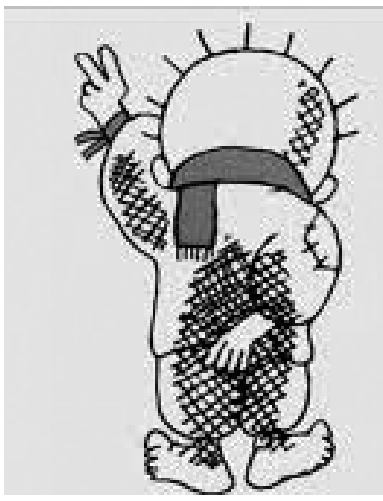

إلى «الكويت» ويعمل رسّاماً ومحرّراً صحفياً في عدد من المجلات والجرائد الكويتية والعربية.

• ناجي العلي يجرح بسكينه:

لفتت أعماله انتباه الجماهير المحبطة المنكسرة، ورأت فيها جرأة وصدقاً لم تعهده في الصحافة العربية، في تناولها لهموم الناس وقضايا الوطن المصيرية وبالذات – قضية فلسطين – التي تتناهشها المؤامرات ويخذلها الساسة ومدّعو الحميّة من الحكام، كما لمس فيها النقّاد والمفكرون أسلوباً جديداً فاضحاً يعرّي لا يداري ولا يجامل، وقد أشاد أولئك الباحثون بأعمال الفنان، وثمّنوا عالياً رؤيته وحسّه وقدرته، فها هو الشاعر الكبير «بلند الحيدري» يقول: إنّ ميزة ناجي العلي هو أنه فنان انتقائي، يعرّف على مفرداته، واستنبط مدلولاتها بوعيه الشخصي بها، وتعاطفه معها»، ويرى الدكتور «عبد الله النفيسي» أنّ «ناجي» لا يرسم بريشته، إنه يجرح بسكينه، كذلك يؤكد الأديب «عبده وازن» أنّ «العلي» ليس مجرّد رسّام، بل هو فنان بامتياز، رسومه تجمع بُعداً تشكيلياً واضحاً ناجماً عن عين حساسة ترى، وريشة مرهفة تقطف المشهد، وتوزّع عناصره بخفة وشفافية.

• فلسطين.. عبّارة العلي إلى القلوب:

وكانت الإعلامية «رولا حسن» الأقدر على تقديم رؤيتها الفنية لأعمال «ناجي العلي» إذ تقول: لقد حطم «ناجي العلي» بقدرته على التواصل والتقاط المشهد الحار القريب من الناس، وبنقله الواقع الفلسطيني تحديداً ضمن خطوط وجمل مستوحاة من الحدث اليومي والتاريخ المعاصر، ردهات المفاهيم السادية بين الفنان والمتلقّي، والتي كانت تحتكر الفن لفئة محدودة من المتابعين، لا شك وأنّ القضية الفلسطينية، كانت عبّارته في ذلك الوقت إلى قلوب محبّية، ودفعته في الوقت نفسه إلى الأمام ليكون من أبرز وأهم فناني الكاريكاتير، لكنه لم يتكئ على هذه الدفعة القوية لفنه، ولم يتركها تقيّده، وبالتأكيد فإنّ «ناجي العلي» هو أكثر الفنانين العرب ذيوعاً وشهرة، إذ ساهم مع نخبة الفنانين العرب بنشر فن الكاريكاتير، وجعله حديث الناس.

انطلق «ناجي العلي» بالتأكيد من موقف مبدئي راسخ، يحقق فيه ذاته كمقاتل عنيد على أكثر من جبهة، مجنّداً نفسه لخدمة قضية عادلة طال الغدر بها والتآمر لمحوها من الذاكرة الإنسانية، وقد وظّف لتلك المهمة المقدّسة، فكراً نيّراً، وإرادة صلبة تأبى التخاذل والركوع، وابتكر لإنجاز مهمته عدة شخصيات وظفها لإيضاح أفكاره.. وصارت فيما بعد جزءاً من المشهد، يتابعها الناس ويترقبون إطلالتها..

• شاهد لا يخشى أحداً:

ابتدع الفنان إثر نكبة حزيران 1967 شخصية «حنظلة» وهو صبي في العاشرة من عمره، وظهر لأول مرة في جريدة «السياسة» الكويتية عام 1969، وفي عام 1973 ظهر حنظلة وقد أدار ظهره للعالم، وشبك ذراعيه خلف ظهره، وكأنه يقوم بعمل لا نراه ولا يريد منّا أن نراه، وصار بمثابة توقيع للفنان على رسومه، وقد اهتمّ الجمهور العربي بهذه الشخصية التي مثّلت في الواقع رمزاً حيّاً للفلسطيني المعذّب، والقوي رغم كل المصاعب التي تواجهه، فهو شاهد صادق على الأحداث ولا يخشى أحداً.

واختار «ناجي العلي» شخصية رئيسية ثانية تكررت في رسومه، وهي المرأة الفلسطينية التي أسماها الفنان «فاطمة»، وظهرت شخصية قوية لا تهادن، رؤياها شديدة الوضوح فيما يتعلق بقضية فلسطين، وبطريقة حلها، بعكس شخصية زوجها الذي ينكسر أحيانا، ويبدو في الرسوم كادحاً مناضلاً نحيلاً بشارب كث، كبير القدمين واليدين معاً، مما يوحي بخشونة عمله. وفي الكثير من رسوم «العلي» يأتي رد «فاطمة» قاطعاً وغاضباً، كمثل الكاريكاتير الذي يقول فيه زوجها باكياً: (سامحني يارب.. بدي أبيع حالي لأي نظام عشان أطعمي ولادي) فترد فاطمة غاضبة: الله لا يسامحك على هالعملة، وكذلك الكاريكاتير التي تحمل فيه «فاطمة» مقصّاً، وتهمّ بتفصيل ملابس لأولادها، في حين تقول لزوجها: شفت بأول الشارع يافطة مكتوب عليها: عاشت الطبقة العاملة، روح جيبها بدي أخيّط أواعي للولاد.

وإلى جانب هاتين الشخصيتين تتكرر رسوم شخصيتين أخريتين: السمين ذو المؤخرة العارية والذي لا أقدام له سوى مؤخرته، وهو يمثل القيادات الفلسطينية والعربية المرفهة والمتخاذلة والانتهازية، وشخصية الجندي الصهيوني، طويل الأنف، الذي يكون في جل الأحوال مرتبكاً أمام القيادات الانتهازية.

• جرأة في التنبّه على التفاصيل:

لقد طوّر الفنان خطوطه وإلماحاته الذكية في حوارات شخوصه وتجانس عمله مع الكثير من حالات النقد السياسي والاجتماعي التي بدأت تظهر وقتذاك، ما وسّع من دائرة انتقاداته اللاذعة، فكان من أجرأ الفنانين الذين تنبّهوا إلى التفاصيل، لتوظيفها في فنّهم، ولم تقتصر تلك الجرأة عند الوقوف على الحالة الإنسانية التي يعايشها الفلسطينيون أو العرب بمظاهرها المؤلمة، بل اتصل بالواقع السياسي والخبر والمعلومة.

كان كاريكاتوره تحقيقاً في الانكسار والفساد والمحسوبية والرشوة، وكل مظاهر الانحطاط، ما أثار حفيظة الكثيرين عليه، وخاصة حين تصدّى لرموز وشخصيات تمارس أدواراً في حياة الشعوب العربية ومؤسساتها، ما زاد من شغف المتلقّين لأعماله لأنه عرف كيف يعزف على أوتار آلامهم وهمومهم وجراحهم.

• محمود درويش.. مخيف ورائع هذا الصعلوك:

طالت سرحتي مع الذكريات وأنا متوقف في معرض الفنان «العلي» بصالة الفن في الكويت، وأسعدني أنّ الفنان «ناجي العلي» كان محاطاً بجمهور حاشد أقبل بشغف ليحتفل بأعماله المتميزة، وكان بين الجمهور الشاعر الخالد «محمود درويش» الذي كتب في سجل المعرض:

«خط.. خطان.. ثلاثة، ويعطينا «ناجي العلي» مفكرة الوجع البشري.. مخيف ورائع هذا الصعلوك الذي يصطاد الحقيقة بمهارة نادرة، كأنه يعيد انتصار الضحية في أوج ذبحها وصحتها. ودائماً أتساءل: مَن دلّه على هذا العدد الكبير من الأعداء الذين ينهمرون من كل الجهات، ومن كل الأيام، ومن تحت الجلد أحياناً..

إنسانيته المرهفة هي التي تدلّه.. الإنسان الطاهر فيه أشد حساسية من رادار معقّد يسجل بوضوح ساطع كل مخالفة تعتدي أو تحاول الاعتداء.. إنه الحدس العظيم والتجربة المأساوية.. فلسطيني واسع القلب، ضيق المكان، سريع الصراخ وطافح بالطعنات، وفي صمته تحولات المخيم».

احذروا «ناجي العلي» فإنّ الكرة الأرضية عنده صليب دائري الشكل، والكون عنده أصغر من فلسطين، وفلسطين عنده هي المخيم، إنه لا يأخذ المخيم إلى العالم، ولكنه يأسر العالم في مخيم فلسطين ليضيق الاثنان معاً.. فهل يتحرّر الأسير بأسراه؟ «ناجي» لا يقول ذلك، «ناجي» يقطر، ويدمّر، ويفجّر.. لا ينتقم بقدر ما يشك، ودائماً يتعب أعداءه وحده يستطيع أن يقطر، لا يشبه أحداً ولكنه يشبه قلوب الملايين، لأنه بسيط ومعجزة كرغيف خبز.

• «العلي» مطلوب وبأي ثمن:

مرّت السنوات والشاعر المشرّد بقي وفيّاً لكل ما آمن به، وللرسالة التي أخذها على عاتقه في فضح المتآمرين على قضية الوطن المغتصب، وواجه «العلي» في سبيل ذلك، حرباً حقيقية خاضها بكل ما يملك من جرأة وغضب، واضطر لنفي نفسه إلى «لندن» ليواصل منها معركته وانتقاده لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ولجهات عربية أخرى إضافة إلى العدو الصهيوني الأثيم، ولم يبال «العلي» بمحاولات إسكاته أو شرائه، بل لم يزده ذلك إلا صموداً وثباتاً، مما جعله مطلوباً وبأي ثمن!!.

هكذا تلقّى «العلي» يوم 22 تموز 1987 رصاصات شاب «مجهول» بقي بعدها غائباً عن الحياة حتى وفاته في 29 آب 1987، ووُري الثرى بمقبرة «بروك وود» الإسلامية في لندن. وقيّدت الجريمة في سجلات الشرطة البريطانية ضد «مجهول»..

صُفي «ناجي العلي» مثل عشرات من أبناء القضية، الذين نذروا الفكر والإبداع وضوء العيون لفلسطين.. صُفي جسداً، وظل طائراً حرّاً في سماء الوطن، وبقيت رسومه علامات نصر مؤزر قادم مع الفجر القريب.

• الحالم الأبدي بنصر لا بد أن يأتي:

«ناجي العلي» هو الاسم الحركي لفلسطين، ومن ثمّ فهو الرسم الحركي لقضية الثورة، بوصفها الطريق الذي لا طريق غيره للعودة والتحرير، وإنهاء ليل القهر الاستعماري الطويل.

«ناجي» هو الشجرة.. ابنها، ظلّها، وجذرها الغارق في الطين، يشد البحر إلى البحر، ويربط المشرق بالمغرب بشرايينه، فهؤلاء هم أهله ولو كرهوا أو تنكروا له بما هو حقيقتهم والمشهد اليومي بعجزهم المتعاظم، ولأنّ «ناجي» هو ابن النكبة فهو الحالم الأبدي بنصر لا بد أن يأتي، وهو المحرّض الدائم، والمشاغب الدائم والمستقوي بالحلم على الواقع المر، ومن هنا تكتسب لهجته – ريشته تلك النكهة الساخرة حتى لتنخر العظام نخراً. ولأنّ الثورة هي الأمل والوعد بغد أفضل فلا شيء يشغل ناجي أو يصرفه عن التبشير بها، فهو لا يهتم بالأشكال ولا تبهره الاستعراضات ولا يتوه وسط ركام الجمل الثورية وفرسانها الكثر، بل يظل يلحّ على الثورة والثوار في صورتهم الأولى.. البسيطة النظيفة والمحددة.

المصادر:

كاريكاتير ناجي العلي: بيبلوغرافيا معرض صالة الفنون بالكويت شباط 1985.

ناجي العلي، والقدرة على التقاط المشهد الحار: رولا حسن – جريدة تشرين /11624/ شباط 2013.

فنان انتقائي يعزف على مفرداته: دليل المعرض الفني الشخصي (رقم 2) – الكويت 1985.

وما أدراك ما العيد

• أكرم الشلي

يصادف عيد الحب أو ما يسمى بعيد الفالنتاين في الرابع عشر من شهر شباط من كل عام.. وقد أصبح من الأعياد المشهود لها بالانتشار حول العالم وفي مختلف المجتمعات، وقد اعتاد العالم وفي الغالب من فئة الشباب من كلا الجنسين الاحتفال به، إذ يتبادل فيه العشاق والمحبون الهدايا ورسائل الحب وغيرها من الرموز الجميلة التي تدلُّ على صدق محبتهم وإخلاصهم ووفائهم، رغم كثرة الأقوال التي توضح أن الحب لا يعدُّ مناسبة للاحتفال ولا يوماً للعيد، بل يعد حالة شعورية ترتبط بالأشخاص طوال الوقت.

وقد تعودت الروايات حول أصل عيد الحب وتاريخه والأسباب التي أدت إلى نشأته ومنها الرواية الآتية :

والرواية تدور حول قصة الراهب وابنه السجان الذي كان يخدم في سجن روماني، وتعود قصة عيد الحب إلى القرن الثالث الميلادي وهي مرتبطة بإمبراطور روماني اسمه «دوكلوديوس الثاني» وبرجل كاهن مؤمن بتعاليم المسيح عليه السلام، اسمه «فالنتينوس» حيث كان الإمبراطور كلوديوس قد أمر الرومانيين بأن يعبدو اثني عشر إلهاً، كما حرّم التعامل مع الأشخاص الذين يدينون بالمسيحية، وتعتبر جريمة يعاقب عليها كل من يخالف ذاك الأمر، إلا أن الراهب فالنتينوس قد وهب حياته للمسيحية وللعيش في كنف معتقداتها اتباعاً لتعاليم السيد المسيح. فكان يمارس كل عباداته وكل ما يؤمن به، ولم يكن يهاب أحداً في ذلك وبعد أن انكشف أمر الراهب، قبض عليه ووضع في السجن، وقضى زمناً طويلاً في السجن، وفي حياته الأخيرة، طلب السجان من فالنتينوس أن يعلم ابنته بعض العلوم التي لديه، بعد أن علم السجان مقدار العلم والمعرفة لدى الراهب، فوافق فالنتينوس على ذلك.

كانت الفتاة ابنة السجان تدعى «جوليا» وهي فاقدة للبصر منذ ولادتها، إلا أن ذلك لم يمنع فالنتينوس من تعليمها، لكونها كانت تتصف بسرعة البديهة والذكاء، فشرح لها عن واقع العالم، وروى لها تاريخ روما وقصصها.. وعلّمها الحساب، وأسرّ لها عن وجود الله، فوثقت الفتاة بمعلمها فالنتينوس كثيراً وتأثرت بما علمها.. فقد كان بالنسبة لها عيونها التي ترى بها العالم من حولها، وقد سألته ذات يوم، عن حقيقة سماع الأله لصلواتها وهي تصلي، إذا كانت تدعو إلى الله أن تستعيد بصرها وهي تصلي في كل الأوقات، لترى بعينها ما تعلمته ولترى العالم من حولها.

فأجابها الراهب فالنتينوس بأنها إن آمنت بالإله وبما تعلمت، فإن الإله سيفعل لها الأفضل دائماً، حينها أكّدت لمعلمها أنها تؤمن بالإله من دون تردد وأدنى شك في ذلك.. فقام فالنتينوس مع الفتاة بعد ذلك وصلى، وأثناء الصلاة عاد البصر للفتاة، ومضى زمن على العلاقة بين المعلم فالنتينوس وجوليا في تزويدها بالمعارف الإيمانية وكلها كانت بسرّية تامة، وفي آخر ليلة قبل وفاة فالنتينوس، كتب ملاحظة لجوليا، حثّها فيها على أن تبقى قريبة من الله، ووقّع في نهاية الرسالة : (من فالنتاين.. «الحب الخاص بك»). ومن ثم نفذ به حكمُ الإعدام في الرابع عشر من شهر شباط من عام /270م/ جانب بوابة قيادة الإمبراطور، سمّيت فيما بعد باسم «بورتا فالنتيني» تخليداً لقصته، وبعد أن دفن فالنتينوس في كنيسة مشهورة في روما، عرفت آنذاك باسم «براكسيديس»، زرعت جوليا شجرة لوز جانب قبره كانت تتفتح بزهر وردي اللون، حيث ترمز هذه الشجرة للحب والإخلاص والصداقة الدائمة..

ولأجل ذلك يحتفل العالم في كل عام باليوم الرابع عشر من شهر شباط، عبر تبادل الرسائل المعبرة عن الحب والإخلاص والعواطف الجياشة.

بعد موت هذا الكاهن المؤمن، ضرب المثل بقصّته وشجاعته التي دفعته للتضحية بروحه من أجل ارتباط المحبين، حيث يحج الكثير من الناس ممن تعنيهم المناسبة إلى كنيسة شارع «وايتفريارز» إحياء لذكراه.

ومن بعض رموز عيد الحب: القلب، حيث يُعتقد بأن القلب هو مصدر كل العواطف ولكنه اقترن بعدها بعاطفة الحب فقط.. الورود الحمراء: ويُعتقد أيضاً بأنها المفضلة لدى إله الحب الروماني فينوس، هذا بالإضافة إلى أن اللون الأحمر حسب تصنيف علم النفس، يرمز إلى الأحاسيس والمشاعر القوية، طيور الحب: يعتقد على أنها رباط الحب الأبدي.. وتتواجد على شكل أزواج تماماً مثل الأحبة.

إن العادات المتبعة في عيد الحب، تختلف من بلد إلى آخر، حيث يتم تبادل الزهور الحمراء والهدايا وبطاقات المعايدة والحلوى، كل هذه من أكثر الهدايا الشعبية التي تقدم في هذا اليوم، ويعتبر الكثير في العالم أن شهر شباط، يتحل المرتبة الأولى بين الأشهر المفضلة للارتباط.. وعقد القران بين العشاق، بينما في بلدنا سورية يختلف الناس في نظرتهم عن عيد الحب، فمنهم من يرى أن هذا اليوم جميل، والكثيريتبادلون الكلمات المعبّرة عن المناسبة، وأرى أن الأعياد كلما كثرت كلما كانت الحياة أجمل، عسى أيامكم كلها أعياد.

ماذا في (آثام) سهيل الذيب من جديد

• رياض طبرة

لا أشك لحظة في أن الرواية هي شكل من أشكال صناعة الغد، وربما المستقبل، وكثيرة هي الروايات التي كانت تمهيدا لأحداث كبرى تحققت، ورأت النور وكأن مبدعها كان على علم ودراية بصناعة التاريخ، وترتقي الرواية أحيانا لأن تغدو نبوءة ولاسيما إن امتلكت قراءة للواقع من كل جوانبه وكانت على مسافة واحدة من أطراف الصراع الذي سيظل يعتمل إلى أن يحقق غاياته الكبرى، أو يحسم على نحو صارم.

(آثام) جديد الروائي سهيل الذيب بعد (زناة) وهي إصدار خاص بتقديم الأديب المتعدد المواهب محمد الحفري، وشهادة من الأديب محمد الطاهر على غلاف الصفحة الأخيرة، في عملية تعريف وتسليط ضوء على هذا المنتج الابداعي، الذي أرى أنه يمتلك وحده تقديم نفسه.

تنتمي هذه الرواية إلى أدب الحرب بقوة ووضوح كاملين، ليس فيها إلا الحرب، وعلى هوامش هذه الصفحات الموجعة من صفحاتها الدامية يقف الحب سيدا وآمرا ناهيا، ويكاد أن يكون هو الحقيقة المطلقة المحركة للإنسان مهما حاول أن يخفي ذلك أو يأتي بأسباب أخرى كالرغيف مثلا، وسبب وجيه وعامل فعال ومؤثر في حركة الفرد والجماعة وربما المجتمع الإنساني كله، وأزعم أن الروائي نجح نجاحا كبيرا في وضع الجنس رديفا للحب على خلاف ما ذهبت إليه الروايات الرومانسية التي شكلت معظم ثقافتنا نحن جيل ما بعد النكبة فنراه قد أكثر من المشاهد الحسية والمشاعر الجنسية وغلبها على سواها، وهي تكاد تتشابه وتتطابق مع ما حملته (زناة).

والحرب هنا هي وقائع في مختلف الجغرافيا السورية، وآثارها حتى في الجوار أي في تلك المخيمات والأديرة التي فتحت أبوابها للمهجرين، وليكمل مبعاث السوري بطل الرواية بحثه عن أسرته، عن أخويه وخلود، بعدما أفقدته الحرب أمه، ودفعته ظنونه وتعجله في الحكم على الأشياء دون تدقيق وتمحيص إلى الظن السيء بأبيه ليكتشف بعد فوات الأوان براءة أبيه، ويعتبر نفسه قاتلا لذلك الأب الذي قضى آخر عمره بحثا عن هذا الإبن الضال وربما عن أخويه الذين لم يعرف عنهما شيئا حتى الصفحات الأخيرة من الرواية، وهما اللذان جندتهما الجماعات المسلحة في صفوفها عنوة فيمن جندت.

وهنا أرى أن مبعاث هو نفسه بطل زناة، هناك كان الشك القاتل والجارح بالأم، وهنا بالأب، والبحث عن الأخت والعثورعليها في مصحة نفسية هنا، أما هناك ففي دائرة الجنون خارج المصحة.

وكثير من الأحداث التي مرت معه في لبنان هي ذاتها التي لاقاها ابراهيم في لبنان، الفندق والمرأة التي تطلبه ليمارس معها الجنس والتهديد ومحاولة دفع المال له ألخ... والقمار.

تكاد الحرب تطبق على صدر الراوي وهو مبعاث وليت الكاتب لم يشوه هذا الاسم الجميل لبطل الرواية أو الشخصية المحورية، فمبعاص لم تقدم الكثير مما أراده من معنى مرادف لحياته أي الاخفاق في كل شيء، لكنها ضيق الخلق والنزق وربما الهروب من أجواء الحرب إلى الفكاهة، ومثل ذلك هذه العبارات التي تخدش الحياء العام، والتي يمكن الإشارة إليها بوضع ال... وقد عمد إلى ذلك في بعض المواضع وأدت النقاط الغرض على نحو أفضل وأجمل وأتت في السياق الطبيعي للسرد.

الرواية أو آثام سهيل مدونة مهمة لوقائع كثيرة في الحرب من عدرا العمالية والتي أطلق عليها عدروس إلى كثيرمن المدن والقرى والعاصمة وشرقها وغربها.

وفيها سعي واضح وحثيث لإدانة هذه الحرب، هذه الحرب التي غيرت الكثير حتى مبعاث كما نعت نفسه ص187(فاجر آثم زان أنا وأمارس إثمي وزناي من دون أي تأنيب للضمير ولا من تلك الحكايات التي كانت تروى أمامي) يعيد كل ذلك إلى الحرب إذ رأى مجتمعا أظهر بغاء وفجورا ألخ.. مبعاث هذا هو ذاته يعيب على المسيحية ما قرره السيد المسيح من عدم الطلاق وحصره في سبب واحد أو علة واحدة ويعتبر ذلك ظلما، وكأن فشل تجربة زوجية في هذا العصر يأذن بتغيير نص مقدس يحمل من الطهر ما يكفي أكثر من كون لما حمله من إنصاف للمرأة وعدم ربط الزواج بالكتاب الواجب أن تأخذه.

وفيها انحياز واضح للدولة والمجتمع وتمنيات صادقة بالعودة إلى الأمان والاستقرار والعيش أخوة وأبناء وطن واحد عزيز الجانب موفور الكرامة والسيادة، مستقل الارادة والقرار.

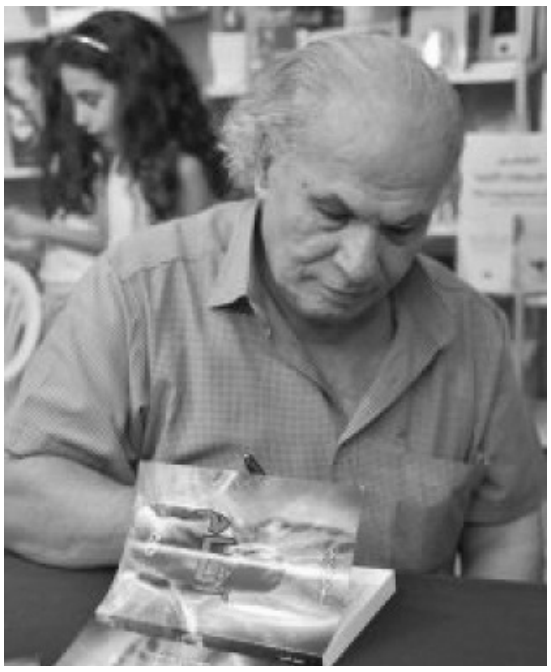

وآثام وثيقة إدانة للإرهاب ولكل الذين انخرطوا بالمشروع التدميري لبلداننا العربية بخطاب أقرب إلى التعليقات السياسية برؤية لا تخفي انحيازها التام والكامل للوطن. بحيث لم نر أو نسمع صوتا آخر في الرواية، أو موقفا يدل على وجود هذا الأخر أو سلوكه غير الحربي سوى مبعاث نفسه حيث يغدر بالحاضنة التي أحسنت إليه وإلى غيره، مع أنها أي إياس حداد أخته في أجيال سابقة، ولا أدري إن كان يقصد أخوة الجغرافيا أم أخوة الجسد، وذلك عبر علاقة محظورة مع إياس الحفيدة ليعود مطرودا مخرجا من الجنة التي دخلها ليؤكد ماورد في الكتاب المقدس عن خروج أدم من الجنة، مع أنه اعتبر ذلك الخروج أسطورة في نوبة شك على ما يبدو.

وهذا ما سبب غياب الصراع في الرواية، وكأني بالروائي يريد أن يقول ما قاله سابقا في (زناة). من أن الكل واحد متشابه وأن المطلوب عنده هو قتل كل الأحياء ليأتي أناس لم يتلوثوا بالحرب، وهو الذي ندد بمن أفتى بقتل ثلث الشعب في سورية ؟.

أما الغد أو المستقبل الذي دأبت الرواية الاشتغال عليه فقد كان في (زناة) مسقوفا في عام محدد أما هنا فهو مفتوح على حيرة من أمر مبعاث وسؤال ممض من قال لي إن الحرب قد انتهت...

وهو هنا غامض بلا ملامح مع أن صورة مشتهاة للغد حاول رسمها تقوم على التصافي والتوادد والمسامحة، لكنه يبدي شكه وريبته مما حوله.

في هذه الرواية جديد واضح هو امتلاك سهيل لأدواته الفنية في تدبر السرد والحوار والوصف، مع وجود بعض الخلل ربما المقصود والذي لا يخرج عن اختياره لميلاد مبعاث، فقد اختار عام النكبة تاريخ ميلاد وبحسبة بسيطة يكون مبعاث قد تجاوز الستين حين طرقت الحرب أبواب سورية ونوافذها وسقفها وقاعها، مع ذلك ظل مبعاث هو ذاته الشاب نصف المتعلم، المحروم من كل حنان المطرود من كل الأمكنة في شتات أول وثان.

وظل ذلك الشاب الوسيم المشتهى والمرغوب من أي امرأة تصادفه ولا تتورع أن تبادر هي إلى طلب العناق وكأننا في الغرب كما يقولون.

على الرغم من أن الراوي لم يتعرف إلى شقيقيه وكأن الحرب التي رصد وقائعها لم تنجزعامها الثامن إذ انتهت الرواية العام الماضي 2018

وكذلك حال اللقاء بعذبة وهي الحب الأول لمبعاث والذي نسيه ونسي البحث عنها وهي التي لقنته الدرس الأول في الحب، وأذاقته حلوه ومره، فقد كان اللقاء غرائبيا ويكاد يكون من المصادفات النادرة، لكنها كشفت له حقائق كانت غائبة عنه. وهكذا الحال مع خلود شقيقته التي لم يبذل الكثيرمن الجهد لتخليصها من مرضها النفسي وتركها تموت.

ويمكن أن نلحظ جديدا في الرواية هو ثقافة مبعاث المسيحية فهو يكاد يحفظ الكتاب المقدس، لا أدري متى تمكن من كل هذه الثقافة لربما في جيل ماض، وهذا ما أدخل بعض المفردات المسيحية في بوحه أتمنى أن يكون ذلك مقصودا للتدليل على لغة جديدة لا تعرف التعصب.

الرواية أمينة على كثير من تفاصيل الأحداث الموجعة، وهي شهادة للقادمين في تاريخ لاحق ليتهم في حرز أمين.

الرد على ما سمي بصفقة القرن

• د. إبراهيم يحيى شهابي

من الأجدر تسمية صفقة القرن بخطة ترامب – نتنياهو التي تعد الحلقة ما قبل الأخيرة من خطة لندن – واشنطن التي ظهرت خيوطها الأولى في وعد بلفور قبل مئة وثلاثة أعوام. أما الحلقة الأخيرة فتتمثل بشطب كلمة فلسطين من الخرائط الجغرافية وقواميس اللغات، وشطب الهوية الفلسطينية من دوائر النفوس ودوائر الهجرة والجوازات في العالم بعد أن تكون الصهيونية العالمية قد بسطت نفوذها على المنطقة كلها محققة شعارها « من الفرات إلى النيل حدودك يا إسرائيل».

لقد ندد العرب والمسلمون بوعد بلفور وتظاهروا ضده وعقدوا عشرات المؤتمرات ضده، ومع ذلك نُفّذ الوعد وأُنشئ الكيان الصهيوني. والذي أخشاه اليوم أن يتكرر الأمر. تتعالى أصوات الاستنكار والتنديد والوعيد، ولكن الخطة الشيطانية تسير كما رُسمت، خصوصا وأن هناك العديد من دول العالم ترحب بها وفي مقدمتها بريطانيا التي رحبت بالخطة فور إعلانها. وليس ذلك غريبا، فبريطانيا هي التي حملت بالكيان الصهيوني وولدته، وأمريكا رعته ودافعت عنه وشدت أزره.

هناك من رفع صوته محتجا يقول: لا حل إلا حل الدولتين، فلسطينية بحدود ال 67 وعاصمتها القدس الشرقية وإسرائيلية. وهناك من يقول: لا نقبل بدولة بدون القدس. ولا يذكر حق العودة، على أهميته، إلا القلة. ولهذا نجد خطة ترامب- نتنياهو خالية من أية إشارة إلى حق العودة. وكلها أقوال تفوح برائحة التراخي والتهاون، بل تعج بالتنازلات الكبيرة.

ولا أريد هنا، في هذا المقال أن أبين أسباب فشل أمتنا في التصدي للمشروع الصهيوني علما بأنهم أدركوا مراميه وأبعاده منذ أكثر من مئة عام، فقد وضحت ذلك في كتاب لي صدر حديثا عن دار الفكر في دمشق، بعنوان « استعادة الهوية الحضارية العربية»، ولكني أوجز القول في هذا المقام بأن الرد العملي على هذه الخطة العدوانية يتلخص في ما يلي:

1 - إنهاء الانقسام بين الفصائل الفلسطينية، ولا أقول بين الشعب الفلسطيني لأن الفلسطينيين موحدون وهدفهم واحد هو تحرير فلسطين كلها من الاغتصاب الصهيوني.

2 - إلغاء الاتفاقات التي عقدتها م.ت.ف. مع الكيان الصهيوني كلها بما فيها اتفاقات أوسلو وما تلاها وما ترتب عليها.

3 - انضمام الفصائل الفلسطينية إلى م.ت.ف. والالتزام بشعار واحد وهدف واحد هو " تحرير فلسطين من البحر إلى النهر " والالتزام بخطة موحدة وأليات موحدة تسهم في تحقيق هذا الهدف تشمل الميادين الإعلامية والسياسية والثقافية والتربوية والعسكرية.

وبدون ذلك يظل الحديث والتنديد والتهديد كطواحين الهواء تصدر جعجعة ولا تعطي طحنا.

وأخيرا، أرى أنه بسلوكنا السبيل الصحيح وتمسكنا بهدف التحرير الشامل وعملنا بصدق لتحقيق هذا الهدف فإن خطة ترامب - نتنياهو ستكون بداية نهاية الكيان الصهيوني وسقوط المشروع الصهيوني برمته. لقد بلغ الكيان الصهيوني ذروة قوته وأوج سطوته لدرجة أن العالم كله تقريبا يسعى لإرضائه، وأن بعض الدول أصدرت قوانين تُجرّم من ينتقد اليهود بحجة أنه لا سامي وكأن العرب ليسوا ساميين، وكأن معاداة الإسلام والإسلاموفوبيا ليست جريمة إنسانية. يحتفل العالم بذكرى الهولوكوست ويمجدون الأبطال اليهود وكأنه لم يقتل في أوشفيتز سوى اليهود علما بأن ثلاثة ملايين من غير اليهود قتلوا في ما يسمونه المحرقة، وينسى العالم الهولوكوست الذي ارتكبه الكيان الصهيوني بحق الفلسطينيين الذين طردهم من أرضهم وبيوتهم وشردهم ليكونوا فريسة للجوع والمرض والموت، وتنكر لحقهم في العودة ويحاول إنكار وجودهم وحرمانهم حتى من المعونات الطفيفة التي تقدمها لهم الأنروا، متحديا قرارات الأمم المتحدة. أليس ذلك أشد وأبشع من القتل أو حتى من الحرق؟! لقد بلغ الكيان الصهيوني ذروة الصلف والعنجهية والتمرد على الشرعية الدولية واستهتاره بها. ومع ذلك أقول إن هذه هي علائم الإنهيار، ولا يحتاج الأمر إلا إلى وحدة الهدف والعمل لتحقيقه من قبل الفلسطينيين أولا وتمسكهم بثوابتهم الوطنية معتمدين على الله وحده من غير أن يعلقوا آمالا على أحد.

• د.حسن حميد

السيد والخادم..! (٢)

قصة /السيد والخادم/ هي واحدة من أهم القصص التي كتبها تولستوي، وهي من أهم النصوص التي ترجمها الأستاذ القدير صياح الجهيم الذي شغله، وعبر سنوات طوال، مشروعه القائم على ترجمة آثار الأديب الروسي الشهير تولستوي، والجهيم مترجم صاحب أسلوب جميل، مثلما هو صاحب مقدرة عالية على تطويع اللغة حتى ليحسب قارئ ترجماته أنها تآليف وليست ترجمة، وهذا ما يؤكد مُكنته وإبداعه وفرادته في الترجمة، وهذه تضاف إلى حسن اختياره للكتب التي قام بترجمتها، وصبره الوافي حتى تبدو جميلة وأكثر باللغة العربية التي نقلت إليها، ولا أقول هذا لأننا عرفنا عيوباً كثيرة في الترجمات المباشرة من اللغة الروسية إلى اللغة العربية على أيدي هواة الترجمة فحسب، وإنما أقوله لأن ترجمات الجهيم كانت جهة جمالية آسرة.

أقول استباقاً، إن قصة /السيد والخادم/ التي كتبها تولستوي سنة 1895، أي قبل رحيله بحوالي خمسة عشر عاماً، قصة مذهلة في كل شيء، وهذا نادر الوجود والتوافر في النصوص القصصية، بل هو نادر الوجود والتوافر في قصص تولستوي عامة.

القصة قائمة على ثنائية أزلية في حضورها وديمومتها، وهي ثنائية /السيد والخادم/ والصفات كثيرة العلوق بالسيد، والصفات كثيرة العلوق بالعبد أو الخادم، وتكاد هذه الثنائية ذات الحضور الحي في جميع المجتمعات تكون متشابهة في كل شيء تماماً مثلما تتشابه أي ثنائية من حيث التضاد والمواجهة..

شخصيات القصة الأبرز هي ثلاث شخصيات يمثلها /السيد/ فاسيلي أندريتش بريكونوف، وهو رجل إقطاعي، وتاجر غني، وصاحب أطيان، ولديه عقارات وعبيد، ويمتلك أحلاماً لا تنتهي من أجل المزيد من الوفرة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية، والشخصية الثانية هي شخصية الخادم ويمثلها نيكيتا الرجل الخمسيني المطيع لسيده في كل أمر وطلب، وفي الليل والنهار، وفي الصيف والشتاء، والشخصية الثالثة هي شخصية غائبة، لكنها هي العمود الحامل لمكان القصة وأحداثها، والباعث لزمنها أيضاً، ويمثلها شاب يمتلك غابة يودّ بيعها للسيد فاسيلي بثمن زهيد لأن الغابة واقعة بالقرب من أملاك الأخير، وهذه الشخصية لا وجود لها إلا من خلال الحديث عنها.

فكرة القصة قائمة على الاتفاق الأولي الذي تمّ بين السيد فاسيلي، والشاب صاحب الغابة من أجل شرائها، وأن السيد فاسيلي على عجلة من أمره من أجل إتمام صفقة بيع الغابة مخافة أن يطمع بها تجارٌ آخرون فيرتفع ثمنها، ولهذا فإن زمن القصة محدد في يوم واحد، ومكانها محدد أيضاً فهو محصور في مسافة قريبة من أملاك السيد فاسيلي، ولكن الإشكالية التي تواجه السيد /فاسيلي/ هي إشكاليتان، الأولى هي أن وقته وقت أعياد، وليس وقت تجارة وإتمام صفقات، والإشكالية الثانية هي أن طبيعة الجو الثلجي هي طبيعة مراوغة فلا شيء يبدو فيها على حقيقته، ففي الصباح هدوء، وثلج لا يهطل إلا على استحياء، وهواء خفيف، وضباب لطيف، والرؤية جيدة، لكن روغان الحال الثلجية التي ستلعب دور البطولة في هذه القصة هي التي ستجعل التوهان عن الطريق، والدوران في المكان، والرعب الشديد من الثلج والبرد والموت مفردات هي لبابة هذه القصة، وجميعها تواجه أمراً واحداً وهو هل يستطيع السيد وخادمه الحفاظ على روحيهما في الأجواء الثلجية التي تغيّرت عن الصباح على نحو جنوني فغدا هطول الثلج غزيراً جداً، والبرد لا يقاوم، والعاصفة هوجاء وأزيد؟!

في البداية أراد السيد فاسيلي الذهاب إلى صاحب الغابة منفرداً، وهي ليست بعيدة كما ذكرنا، كي يتمم الصفقة ويعود، وفي وقت عدّه مثالياً لأنه لا يتوقع حراكاً للتجار الطامعين بخشب الغابة في أثناء أيام الأعياد، ولكن زوجة السيد تطلب منه أن يصطحب الخادم نيكيتا فيأخذه بعد أن أعدّ الخادم الحصان القوي والزحافة الجيدة، وبعد أن طلب منه أن يلبس ثياباً نظيفة ودافئة تليق بصحبة سيده. هذا الخادم نيكيتا له قدرة عجيبة على العمل، وتحمل التعب، وهو طيب، ولطيف، بعيد عن التذمر، وطبعه أنيس، كان سيده قد طرده مرات عدة من عمله، لكنه كان يعود لقناعة سيده أنه مستقيم، وحريص على ماله، بما في ذلك الحيوانات والأعلاف والحبوب، والأهم أنه خادم غير متطلب، ويسكت عن حقوقه، لقد اتفق السيد فاسيلي معه على أن يعطيه /80/ روبلاً سنوياً، ولكنه، في الحقيقة، لا يعطيه سوى أربعين روبلاً وعلى دفعات وعلى شكل مواد تموينية أو حاجيات يأخذها من حانوته وبأسعار مضاعفة..

زوجة الخادم نيكيتا اسمها /مارفا/ لها ابن وبنتان، وهي تسيطر عليه حين لا يشرب، وهو يسيطر عليها حين يشرب.

تبدأ القصة حين أخذ السيد فاسيلي ثلاثة آلاف روبل معه لدفعها إلى صاحب الغابة، وحين انطلقت الزحافة والحصان بهما، السيد فاسيلي والخادم نيكيتا، كان الاثنان يعرفان المكان، ويعرفان الطريق، ويعرفان ما يقع على يمين الطريق وما يقع على شماله، ومع ذلك تاه الاثنان ولم يعرفا الطريق المحفوف بشاخصات إرشادية لأن العاصفة الثلجية راحت تشتد كلما أوغل الاثنان في عالم من الضباب والثلج والبرد، وراح الاثنان يتحدثان عن قوة الحصان وقدرته على الوصول إلى الغابة، المكان الذي يريد السيد فاسيلي تتميم الصفقة فيه.

مرات عدة يتوه الاثنان في الطريق، ولكن كل مرة لها صفاتها وجمالياتها ومشاعرها ومخاوفها، وفي أعقاب كل مرة تتجدد الآمال بأن السيد فاسيلي وخادمه نيكيتا سيصلان إلى الغابة بعد منعطف أو اثنين، أو بعد إشارة أو اثنتين، ولكنهما لا يصلان لأنهما كانا يدوران في حلقة مفرغة لم تصل بهما إلى نتيجة. في المرة الأولى، أي في التوهان الأول، يصلان إلى قرية صغيرة يعرفانها، ويعرفان أهلها، يلتقيان برجل اسمه /إيساي/ يعرفه السيد فاسيلي، فيرجوه /إيساي/ أن ينزل ضيفاً عليه لأن العاصفة الثلجية قوية جداً، وتبدو مجنونة، فيرفض السيد فاسيلي معتذراً، فيدلهما /إيساي/ ويرشدهما إلى الطريق الذي يقودهما إلى الغابة، لكن الطريق غطاه الثلج، والرياح الشديدة راحت تلعب بالثلج الذي تجرّأ فغيّر طبيعة الأمكنة، ويمضي الاثنان في الطريق لكنهما يتوهان مرة أخرى، ويدوران في المكان دورة العميان، ويصلان إلى القرية الصغيرة التي تركاها خلفهما قبل ساعات، ويدخلان إلى بيت سيد من سادتها ويشربان الشاي فيه، ثم يخرج ابن صاحب البيت معهما ليرشدهما إلى الطريق، فيمشي أمامهما مسافة طويلة، ثم يعود بعد أن قالا له إنهما تعرفا إلى الطريق، ولكن ما إن يسيرا بالزحافة مسافة قصيرة حتى يواجههما توهان ثان، وهنا يأخذ القيادة الخادم نيكيتا، ويطلب من سيده أن يصمت لعله يجد مخرجاً! ولكن غزارة الثلج، والعاصفة الشديدة، والبرد القارص، والخوف من الموت بين كتل الثلج التي توسطت الطريق، وتعب الحصان وعدم قدرته على مواصلة المسير لأنه كان يغرق في الحفر التي غطتها الثلوج، كلها حالت دون أن يجد الخادم نيكيتا مخرجاً لهما، فيتوه الاثنان مرة ثالثة، ويعجز الحصان عن الحركة، فيقوم الاثنان بتغطية جسده بكل ما لديهما من أغطية، ويفرش الخادم نيكيتا تحت جسد الحصان كمية من القش، ويجلس السيد فاسيلي في الزحافة طالباً الدفء، ويدخل الخادم نيكيتا في حفرة ثلجية ويغطي نفسه بدثاره، ويرفع الاثنان منديلاً في أعلى الزحافة كي يرشد من يمر بهما إلى أنهما موجودان ويطلبان المساعدة. وفي لحظة محتشدة بالخوف يسأل السيد فاسيلي خادمه نيكيتا: ألا نموت هنا من البرد؟ فيقول الخادم: ربما، لكن ماذا نفعل؟! ويغرق الاثنان في صمت أليم. السيد فاسيلي يفكر بأمواله وما يمتلكه، والغابة التي سيحوز عليها، والأرباح التي ستعود عليه، ويقارن ما بين ما امتلكه والده وما يمتلكه هو الآن، ويبتسم لأن ما يمتلكه كثير ومهم، فهو لديه حانوت، وحانتان، ومطحنة، ومخزن للحبوب، ومساحات واسعة من الأراضي، وبيوت كثيرة، والأهم أن الناس يتحدثون عنه لا عن أبيه، ويربت على صدره لأنه كسب كل شيء بالعمل، وأشعل سيكارة بصعوبة شديدة لأن البلل أصاب أعواد الكبريت، وتمتع بها لكي يطرد شبح الموت وقد أحاطت به الثلوج، والبرد، والعتمة، والرياح، وأصوات العاصفة الهوجاء! كان الليل قد أطبق عليهما، وأصوات عواء الذئاب باتت مسموعة لهما، وتمنّى السيد فاسيلي أن ينام إلى الصباح، لكن كيف ينام والبرد يتغلغل في جسده. فكر بديونه على الآخرين، وندم لأنه لم يبقَ في القرية التي شرب الشاي فيها، فيبيت فيها حتى الصباح فوق سرير مريح، وليس كما هي الحال عليه الآن فوق زحافة غمرها الثلج بكل قسوته وبرودته ومهابته الراعبة..

وفجأة، نهض السيد فاسيلي، وقد عصف به سؤال موجع هو: لماذا أنتظر الموت؟!

فقرر أن يترك خادمه نيكيتا في حفرة الثلج تحت دثاره، وأن يركب الحصان ويمضي منقاداً لحس الحصان، لقناعته أن الحصان قادر على تخليص نفسه إن كان معه صاحبه!

ويقترب من الحصان ليركبه، ونظره مصوب إلى خادمه نيكيتا، فيقول: سيان إن مات أو عاش، لأن حياته سيئة وصعبة، وليس فيها ما يبهجه، أما أنا فلديّ ما يكفيني لأعيش! ويركب الحصان بعد محاولات عدة مخفقة!

أما الخادم نيكيتا، فراح هو الآخر، وفي طيّ هجعته داخل حفرة الثلج، يفكر بحياته العجيبة التي عاشها خادماً لدى أسياد آذوه كثيراً، ويستعيد وما عاناه من حياة العبودية والقسوة والضرب والنهر والشتائم والإذلال، ومع ذلك راح يدعو السماء أن تنجيه مما هو فيه.

Hasanhamid55@yahoo.com

هل آلة العود عراقية؟
رد علمي على اليهودي الألماني - ألرماير-

•محمد عيد الخربوطلي

منذ قدم التاريخ ابتدع الإنسان الغناء والموسيقى واعتمدتها الأديان في طقوسها، واعتبر وسيلة أساسية للتعبير عن الفرح والحزن عند جميع الشعوب وتألقا فأصبحا ركناً أساسياً في الوجود الإنساني.. فكل حضارة تفخر بما لديها من تراث موسيقي وغنائي وتحافظ عليه من الضياع، هذه الموسيقى لها تاريخ طويل في حضارتنا العربية القديمة يمتد إلى أكثر من خمسة آلاف سنة مضت، الموسيقى التي تنبض فيها قلوبنا وتسمو بها أرواحنا فيصفو وجداننا، ومن أهم الآلات الموسيقية الآلات الوترية، فقد حظيت باهتمام كبير من الدارسين للموسيقى وآثارها، وأكثر الآلات الوترية قرباً إلى قلوبنا آلة العود، فالعود سلطان الآلات ومجلب المسرات فقد تفوق وسيطر على جميع الآلات الشرقية والعربية خصوصاً، وقد انتقل إلى الأندلس بانتقال العرب إليها ومنها دخل أوروبا فعرفته قصور الملوك والأمراء وقد ألف الغرب القطع الموسيقية للعود وبقي مسيطراً في أوروبا حتى انتشار الجيتار والبيانو فأخذا مكانه، واستعمل العرب القدامى العود وخاصة العلماء في شرح قواعد الموسيقى النظرية وأصولها كما يستعمله الملحنون اليوم في وضع ألحانهم.

ومن المسلمات أن العود عراقي في الأصل فقد أثبتت الآثار الموسيقية والكتابات المسمارية أن ابتكار العود كان في العراق القديم في الألف الثالث قبل الميلاد في العصر المعروف باسم العصر الأكدي 2350-2170 ق.م ويوجد ختمان في المتحف البريطاني يظهر فيهما شخص يعزف على العود وهما من العصر الأكدي.

واستمر استعمال العود في العصر السومري الحديث 2100-1950 ق.م، وصار العود الآلة المفضلة في عموم العراق القديم كما دلت الآثار المكتشفة في عدة مدن عراقية وخاصة أنه عثر على أثار للعود تعود إلى عصر حمورابي والعصر الكشي والبابلي الحديث، فبالإجماع العود آلة عراقية.

هذه المعلومات الموثقة والمتفق عليها ترد باقي الدعوات التي تقول إن آلة العود ليست عراقية فبعضهم قال إن العود آلة مصرية أو فارسية أو بربرية أو صحراوية أو عيلامية أو يهودية!

وهذه الآراء التي نراها نردها بالمناقشة العلمية لأن معظمها يعتمد على أساطير وآراء شعوبية ذات عنصرية متعصبة، وفي دراستنا هذه نرد الرأي اليهودي ونهدمه بالمناقشة العلمية المبينة على الحقائق ففي عام 1970م طلع علينا الباحث اليهودي الألماني -ألرماير- بدراسة جاء فيها أن العود يرجع أصله إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ويعود إلى السياميين الغربيين في فلسطين وسورية وقرر أن العود سامي الأصل لعدة أمور منها:

-1زمن ظهور العود في الألف الثاني قبل الميلاد.

-2المنطقة الجغرافية لانتشار العود.

-3طبيعة أصوات العود وتقنية العزف عليه.

-4ارتباط استعمال العود بعالم الرعاة.

ويخلص في بحثه إلى أن تاريخ الموسيقى ولغاية يومنا الحاضر يخبرنا بالجذور العميقة للموهبة الموسيقية التي يتمتع بها الساميون - اليهود- وقال: إن عازفي الكمان الأول في العالم هم يهود ولما كانت آلة الكمان منطلقة من العود وترجع إليه فإن ابتكار وأصل العود يرجع إلى اليهود، فهو يقول بصورة غير مباشرة أن اليهود القدامى أجود عازفي العود وإليهم يرجع أصله.

ونرد على نظرية ألرماير بعدة نقاط أهمها:

-1إن أقدم الآثار التي تثبت ظهور واستعمال العود ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد -العصر الأكدي وليس الألف الثاني كما زعم ألرماير.

-2إن نقوش الختمين ترينا العازف وهو يعزف في حضرة الإله -أيا- إله الحكمة والموسيقى والخصوبة، أي إن هذه الآثار الأكدية تثبت بكل وضوح أن العود منذ بدايته الأولى كان مرتبطاً بالعبادة والناحية الدينية وليس بعالم الرعاة كما ذكر.

-3إن الآثار الخاصة بالعود تثبت انتشاره في جميع أنحاء العراق السومرية والأكدية والبابلية والآشورية وليس فقط في المنطقة الجغرافية الخاصة بالساميين الغربيين سوريا وفلسطين حسبما زعم.

-4إن الآثار المكتشفة في سورية وفلسطين وتركيا ومصر وإيران وبلاد الإغريق والرومان وشبه الجزيرة العربية تثبت أنها اقتبست العود من العراق وتدل على تأخر تلك البلدان عن استخدامه، ففي مصر ظهر 1580-1090 ق.م في عهد المملكة الحديثة، وفي إيران ظهر في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وفي سورية دلت الآثار على وجود العود فيها في الألف الثاني قبل الميلاد.

-5إن النقش الظاهر على اللوح الفخاري من العصر البابلي القديم يمثل رجلاً عارياً يعزف على العود وحوله كلب وخنزير، توهم ألرماير بأن العود كان مرتبطاً بعالم الرعاة في الهواء الطلق منذ أول ظهوره، وهذا زعم وفهم خاطئ للمشهد البابلي القديم، إذ إن عازف العود في هذا الأثر البابلي هو في حالة الجلوس على كرسي والرعاة عند الرعي لا يجلسون على كرسي كما فاته أن الكهنة في العراق القديم كانوا يقيمون شعائرهم الدينية وهم عراة، لذلك كله لا يمكن أن يكون العود مرتبطاً بعالم الرعاة كما زعم الباحث الألماني، وأن أحد الأختام الإسطوانية السومرية والذي يعود تاريخه لسنة 2450 ق.م نقش بمشهد يمثل أحد الرعاة في حالة الجلوس تحت الشجرة ويعزف على الناي كحال الرعاة في كل العصور، ولأن العود آلة المدينة، وليس آلة البراري، إضافة إلى أن عازف العود يلزمه ثقافة موسيقية ودراسة منظمة وهذا ما لا يتوافر عادة عند الرعاة في البراري.

-6الآثار الخاصة بالعود منذ الألف الثالث قبل الميلاد تثبت وجود استعمال العود في العراق من الأكديين وهم ساميون شرقيون قبل استعماله من الساميين الغربيين في سورية وفلسطين في الألف الثاني قبل الميلاد.

-7إن اليهود القدامى أجداد عازفي الكمان الأول في العالم اليوم لم يبتكروا العود ولا يرجع أصله إليهم، كما أثبتت الآثار الأكدية من العراق ذلك.

من هذه الدراسة نرى دحض الآراء اليهودية التي أرادت نسب ابتكار العود إليهم، فهم يريدون بهذا صنع تاريخ لهم كعادتهم، فهم ينسبون أي اختراع مهم لأنفسهم ويخترعون نسباً يهودياً للمخترع، كما أنهم يتبنون أي نظرية تحترم فكرهم وسياستهم حتى لو أدى الأمر إلى سرقة آثار الآخرين.

العبور من النفق لمنصور حاتم

•سهيل الذيب

يستدل من لوحة الغلاف مدى القتامة التي أراد كاتب هذه الرواية الصديق منصور عيد الحاتم توصيلها، فاللوحة نفق مسور من حجارة بنية وشاها الفنان بإضاءة خفيفة ليخفف من وطء كثافتها اللونية ونهاية النفق المعتمة، على الرغم من أن الكاتب فتحه بوساطة حسن الذي أنقذ سارة من مصيرها المشؤوم من بين أيدي خاطفيها حاملي قناع الدين وكأن هذه «الثورة» هدفها الأساس القتل والدمار والاغتصاب كما بدت عليه.

بروحه الإنسانية يهدي الكاتب روايته إلى الحزانى والمحبطين والمتعبين والمضطهدين في العالم وإلى «سارة» المسلوبة من التاريخ، كما يسميها. وفي المدخل إلى الرواية يرى الحاتم أن الرواية تدفع الناس البسطاء إلى رفع مستوياتهم وتحثهم على التفكير بحياة أفضل أملاً بالحرية والعدل ورفع الظلم والفساد والاستغلال عن كواهلهم.

الرواية:

سارة واسطة العقد بين إخوتها الصبيان وهي وحيدة أبويها سالم ووفاء، أحبها الجميع وحظيت باهتمامهم ولاسيّما جدّتها لأبيها صفية التي تقص لها الحكايا وتخبرها عن عم سارة مجدي المقيم في لينينغراد لأنه لم يجد عملاً ولم يستطع دخول الجامعة بسبب انتسابه إلى حزب ممنوع لذلك اعتقل ثلاثة أيام وبعدها سافر ولم يعد إلاّ مرّة واحدة.

وفاء أم سارة تعاني مرضاً مزمناً انتقل إليها من طريق النساء الحوامل كونها القابلة الوحيدة في حارتها.

وفي أسلوب قريب إلى أسلوب الحكايات الشعبية حيث يستخدم الكاتب عبارة أما فلانة وأمّا فلان وفعل كان وكانت كذلك. المهم يخبرنا عن رجل غريب يأتي إلى القرية في الشتاء ويغادرها صيفاً للبحث عن قاتل أبيه الذي قتل قبل عشر سنين، وهي حكاية من مجموعة من الحكايات التي يذكرها الكاتب في عملية تداع للأفكار، سالم له مساهمات كثيرة في تطور القرية زراعياً من خلال علاقاته علماً أنه استأجر أرضاً لزراعتها بسبب غضبه من أخيه وأبيه الذي يملك أرضاً واسعة، وبسبب القحط والجفاف قرّر الهجرة إلى المدينة، اللافت أن سالم تعلم بعد هذا العمر ونال الابتدائية والإعدادية.

في المدينة، التي لا يذكر الكاتب اسماً لها، عمل سالم في مكتب تجاري وفّر له الحياة الكريمة واستطاع أن يعلم زوجه القراءة والكتابة، وفي إغفال للزمن الذي هو من أهم عناصر أي عمل روائي ينقلنا الراوي إلى سارة التي صارت في الثانوية ثم في كلية الهندسة فرع الاتصالات وفي نهاية سنتها الجامعية الثانية بدأت الأحداث التي عصفت بالوطن وكانت مشاركة فيها من خلال مساهمتها بإنشاء «تيار الحقيقة الغائبة» لمحاربة الفساد وفضحه، وإذ كانت عائدة إلى بيتها خطفها أزعران وأحضراها إلى أميرهم الذي أمرها بالمساعدة في هندسة الاتصالات مقابل سلامتها لكنهم عادوا واغتصبوها بعد أن خدّروها ولا أدري إن كانوا بحاجة إلى تخديرها، وكأن الكاتب يتحدث عن أناس لديهم شرف ووجدان، في المعتقل أثارت سارة عطف حسن الذي عبر بها من النفق ليصل إلى المقر الأمني فيسلمها ويستسلم ليخبرنا الكاتب أنه كان مخطوفاً. يضطر الوالد سالم بسبب اغتصاب ابنته إلى مغادرة المدينة إلى العاصمة حيث يرى على جانبي الطريق الأبنية المتفاوتة من حيث الفقر والغنى فيتساءل لمَ لا ينتفض هؤلاء الفقراء على واقعهم البائس.

مرة جديدة يستأجر بيتاً لدى امرأة أرملة وتنتقل سارة إلى جامعة العاصمة، ومن جديد يعمل في مكتب شحن لتبدأ قصّة عمر المهجر من المناطق الساخنة الذي ينام في مكتب الشحن ويتعرف إلى عائدة من خلال مرورها أمام نافذته وحين دعاها للدخول دخلت لتبدأ قصّة جديدة فبعد أن أتما الممارسة عرفنا أن عائدة مطلقة من زوجها الذي لا ينجب فوالدتها توفيت وهي في التاسعة من عمرها وحاول أخوها من أبيها التحرش بها فانتقلت إلى جدّتها ثم إلى خالتها التي أنجبت أربع بنات ليهرب زوجها إلى لبنان مع سناء ابنة الحج إبراهيم، لذلك تزوجت عائدة من أول شاب تقدم إليها وتركته لأنه عاجز، المهم حين استطابت نفسها عمر عادت إليه مرّة ثانية فعلمت أنه خطف إلى جهة مجهولة وبعد شهر بدأت الشركة تتلقى التهديد من قوى التكفير المسلحة فأغلقت أبوابها وعاد سالم عاطلاً عن العمل وقطع الإرهابيون رأس عمر وطلبوا من أهله المال لتسليم جثته لتبدأ قصّة جديدة، فقد استأجر سالم بيتاً في أحزمة الفقر لصاحبته سامية التي استهواها ماهر بن سالم فأغوته بجسدها العاري ثم حدث المحرّم الذي استمر عاماً لتكتشف أم ماهر العلاقة المحرمة وإذ حاول أهله ثنيه عن هذه العلاقة فما انثنى بل طلب سامية للزواج فرفض أهله فما كان منه إلا أن أخذ سامية إلى لبنان وتزوجها هناك بعد أن انتسب إلى الجامعة ونجح في الحياة بعد أن تخرج في الجامعة.

عاد سالم إلى القرية بعد إخفاقه في العاصمة ولاسيّما - كما يقول الكاتب - بعد أن اقتربت قطعان الهمج الإرهابيين من قريتهم لذا فعليه ربط مصيره بمصير أبناء قريته لكنه في هذه اللحظة بالذات وجد كيساً فيه شيك مجيّر لصاحبه فصرفه من البنك واشترى أرضاً في القرية وتطوّع في مركز الدفاع الوطني، وإذا بيوسف زوج ابنته وفاء تبرع أيضاً لبناء مدرسة في القرية ووضع حجر الأساس في احتفال مهيب ولكن المدرسة لم تُبنَ حتى الآن.

استشهد عامر بن سالم بعد أن التحق بالخدمة العسكرية وكذلك أصيب خال سالم واسمه ماجد بالشظايا بعد المعارك التي خاضها أهل القرية مع هجوم المسلحين، وحين زيارته في المستشفى يسأله سالم عن الرجل الغريب فأخبره أنه وأبو ومحمود من قتل أباه.

الرواية كما أرى بسيطة لا تملك عقداً ولا حلولاً فهي تجري كأي حكاية تروى في المجالس وإنسانيتها ووطنية بطلها وكاتبها لا تغفر لها فقدان فنيتها فالرواية ليست حكايات وإنما عالم كامل من حدث رئيس قد تساعده بعض القصص في منطقيتها أما أن تكون حكاية تلو حكاية فذلك لا يجعل منها عملاً روائياً والأولى لو كانت مجموعة حكايات فذلك أفضل لها.

هي وجهة نظر أرجو أن أكون مخطئاً فيها ولا سيّما أن الراوي من خلال قراءتي لرواية أخرى له يمتلك أفكاراً رائعة لصناعة رواية بكل معنى الكلمة لكنه لسبب ما لا يهتم بتقنيات السرد الروائي.

لفت نظري أنه حين استشهد ابن سالم لم أرَ حزناً على سالم أو على وفاء ما أفقده الكثير من المصداقية ذلك أن الأحاسيس جزء رئيس في التعبير عن العمل الروائي الذي تعرف أنه سرد نثري طويل يعتمد مجموعة من الشخصيات الخيالية أو الواقعية ومجموعة من الأحداث ترتبط بحدث رئيس تخدمه وتقدم له أسباب النجاح من خلال الحوار والوصف الدقيق والصراع بين شخصيات العمل لنصل إلى الذروة أو العقدة ثم يبدأ الراوي بطرح الحلول المناسبة لعمله من خلال أحداث من خصائصها الإيغال في السرد والتبحر في التفاصيل واحترام الزمان لأنه أحد المقومات الرئيسية لأي عمل روائي فهو الذي يحافظ على المصداقية ومنطق الأحداث ومنطق تطور الشخصيات لذا فالراوي مؤرخ أيضاً وباحث اجتماعي يعرف التفاصيل. من هنا أود أن أهمس في أذني صديقي الحاتمي أن نفسك الضيق لن يساعدك في أفكارك النبيلة وصف مجموعة حكايات لا يصنع عملاً روائياً فلا بدّ من التأني لينضج العمل على نار هادئة فليست العبرة بكثرة الأرقام ولكن بما حوته.

الأديب الشاعر محمود علي السعيد رائداً ومكرماً لـ (ق. ج. ج)

•د. عبد الحميد ديوان

في احتفالية ثقافية إقامتها دار الكتب الوطنية بإشراف مديرية الثقافة بحلب وعلى، مدى يومين لملتقي القصة القصيرة جداً (ق. ق. ج) بعنوان (محمود علي السعيد رائداً) وذلك في مركز ثقافي العزيزية، بتقديم وإدارة محمد حجازي مدير دار الكتب الوطنيّة بحلب.

في البداية، وفي اليوم الأول تم عرض فيلم قصير عن الشاعر محمود علي السعيد وعن ريادته للقصة القصيرة جداً، والشهادات التي قيلت في هذه الريادة، ونبذة عن حياته وسيرته الأدبية. كما تم تقديم شهادة تقدير في ريادة القصة القصيرة جداً، قدمها جهاد غنيمة رئيس مركز ثقافي العزيزية باسم مديرية الثقافة تحدث الأديب الاستاذ محمد حجازي في تقديمه لاحتفالية فأشار فيها إلى أن هذا الملتقى للقصة القصيرة جداً، الجنس الأدبي الذي يأخذ من كل الأجناس الأدبية، له شروطه وصفاته. وإذ نحتفي بهذا الجنس الأدبي، وبرائده الأديب محمود علي السعيد الذي فتح الباب على مصراعيه أمامه، لا ننكر لأقرانه مساهماتهم في بروز هذا الجنس الأدبي الذي لم ينل ما يستحقه من الدرس والبحث، وبقي ضمن صراع الرافض والقابل له، شأنه شأن الشعر النثري، ومازال يزاحم في هذا المضمار حتى يأخذ حقه، وإننا إذ نقدم التحية لكم وللأديب محمود علي السعيد نبارك له هذه الريادة في هذا الجنس الأدبي على مستوى الوطن العربي.

وتحدث الأديب محمود علي السعيد في كلمته مشيرا إلى أنه يحلو لبعض منظّري القصة القصيرة جداً أن يدرجها تحت سقيفة القصة القصيرة، ويعدها وليداً شرعياً لها، ونوعاً ملحقاً وليست جنساً مستقلاً له خصوصيته وفرادته، ويحلو للبعض الآخر عدّها جنساً أدبياً له كامل المواصفات والاستقلالية وإن كان يقرّ بقواسم مشتركة بين الاثنتين، من قبيل تراسل الفنون أسوة بتراسل الحواس. كما يحلو لرهط لا بأس بتعداده من النقاد أن يكرر جهاراً إن القصة القصيرة جداً مازالت في الطور الأول من التجريب، ولم تتقعّد عناصرها ومستلزماتها ومواصفاتها بعد، يقابله على الطرف النقيض رهط يعلن أن معظم نقاط العلام في نقاط سيرها قد تم توصيفها وتسليط الضوء عليها. مؤكداً أن مرور خمسين عاماً على الولادة كفيل بعملية التقعيد والقوننة النسبية. أما بخصوص نقطة المشايعة والمناصرة أو المخاصمة والكيدية فلها حديث آخر يكفي القصة القصيرة جداً اعتزازاً أن جملة من الرموز الإبداعية السباقة عربياً قد شغفت بها وكتبتها وهي في أوج نضجها وعملقتها الإبداعية ليأتي في الطليعة نجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل للآداب، والدكتور عبد السلام العجيلي، وعادل أبو شنب، وياسين رفاعية، وشوقي بغدادي، وعبد الستار ناصر، وعبد الرحمن مجيد الربيعي، ومحمود شقير وغيرهم الكثير وبخاصة في المغرب العربي حيث أنشئت في مدينة الناضور رابطة للقصة القصيرة جداً على نطاق الوطن العربي يترأسها الناقد الدكتور جميل حمداوي، ولها فروع في معظم أقطار الوطن العربي.

كما أشار إلى أن توصيف حلب عاصمة للقصة القصيرة جداً يعدّ حقاً جليّاً ومطلباً شرعياً لعدة أسباب منها أن الوثائق المتوفرة المدعومة بإقرار نخبة من النقاد العرب المشهود لهم أثبتت أن ريادة القصة القصيرة جداً تعود إلى هذه المدينة العريقة. وأن حلب هي المدينة العربية الأكثر اهتماماً بإقامة الاحتفاليات والملتقيات والمهرجانات التي تكرّس وتؤصل هذا الجنس الأدبي الجديد. وأنه يتوفر في مدينة حلب النوعان معاً، الكم والكيف، من كتّاب ونصوص، وقد اعترف الناقد جميل الحمداوي بهذه الحقيقة في عدة مقابلات نشرها في مجلة (دروب) الأدبية، وموقع (أدب وفن).

بعد ذلك بدأت ندوة القصة القصيرة جداً وشارك فيها كل من الأدباء د. عبد الحميد ديوان، وأسامة مرعشلي، وأحمد حسين حميدان. وقد تحدث الأديب د. ديوان عن فنيّة القصة القصيرة جداً عند محمود علي السعيد، مؤكداً أن هذه التسمية هي للأديب السعيد، وأن هذا الجنس الأدبي ولد عام 1966 عندما نشر السعيد قصته (الفدائي) في مجلة الطليعة الدمشقية، وتابع كتابة هذا الجنس الأدبي حتى إصداره مجموعته (الرصاصة) عام 1979، ومازال إنتاجه متميزاً في هذا المجال. مشيراً إلى أن الدكتور نعيم اليافي هو أول من أكد ريادة السعيد، وكذلك الدكتور سمر روحي الفيصل، والناقد يوسف سامي اليوسف، والدكتورة بغداد عبد المنعم، والأستاذ الأديب محمود فاخوري. ومن المغرب الدكتور جميل الحمداوي، وغيرهم من أنحاء الوطن العربي.

كما أكد أن الأديب السعيد كان قاصاً بارعاً في نسج الحدث القصصي الذي يقدمه لوحة فنية تمتاز بروح شاعرية، ودفقة وطنية معبرة مما يجعل الحدث القصصي عنده يشكل انطباعاً متوهجاً ومعبراً تعبيراً حقيقياً عن الحدث، ومحدثاً ثورة في تجسيد الحدث المكثّف في لوحة تعبيرية تجعل القارئ ينشد إليه ويلتحم مع الموقف القصصي، وقد أراد من خلال الصورة الخاطفة للمشهد القصصي أن يقدم رؤيته المتكاملة عن الحدث الذي يريد تقديمه إلينا.

وقد أشار إلى إن القصة القصيرة جداً في نظر أديبنا السعيد هي موقف معلن لرؤيته الوطنية ضمن قضيته الكبرى والأساسية (فلسطين) مؤكداً في ذلك أن العودة لابد أن تتحقق بأيدي أبنائها مهما طال الزمن، وأنه أحدث بصمة واضحة في جسد القصة بريادته لهذا الجنس الذي أثبت نفسه بين الأجناس الأدبيّة.

بينما تناول الأديب أسامة مرعشلي في الدراسة التي قدمها شعر الشاعر محمود علي السعيد، والدواوين التي أصدرها، ومزايا شعره، والموضوعات التي تناولها فيها، مؤكداً أن القدس هي المدينة التي تشد الرحال إليها في العديد من القصائد التي كتبها، وأن حلب المدينة التي احتضنت الشاعر موطناً ثانياً له كان وفياً لها أيضاً في الكثير من قصائده. أما على صعيد القصة القصيرة جداً فأكد أن السعيد عرف بريادته لها، فلسطينياً وسورياً وعربياً، وأن البداية له كانت في منتصف الستينيات في قصته (الفدائي) التي تحمل روح التبشير للعمل الفدائي الفلسطيني والكفاح المسلح لتؤرخ لمرحلة جديدة من تاريخ النضال العربي الفلسطيني ضد طغيان الصهيونية العالمية، وأنه قد أغنى المكتبة العربية بعشر مجموعات من هذا الجنس الأدبي وهي: الرصاصة، المدفأة، المنقل، القصبة، المحاولة الشكل، بطاقة رقم 5، نصف البرتقالة، إلى فراشة البحر، من قيس إلى ليلى - وله تحت الطبع جمرة الروح. وأنه لم يكن رائداً لها وحسب بل منظراً لتجسيدها في جنس أدبي حديث له خصوصيته، فكتب في هذا الموضوع عن القصة القصيرة جداً، فعقد المقارنة بين هذا الفن وسائر الفنون الأدبية، ووضع لها شروطاً منها التكثيف والقفلة الحادة والتوظيف الجمالي للمفردة وشعرية السرد، والمفارقة، وأنسنة الأشياء، إضافة إلى الزمان والمكان والحدث.

أما الأديب والكاتب أحمد حسين حميدان فقد قرأ ثلاث قصص قصيرة جداً: الأولى بعنوان (بطل النهاية المفتوحة)، والثانية بعنوان (بطل النهاية المؤلمة) والثالثة بعنوان (أبطال هذا المساء).

وفي اليوم الثاني شارك كل من الأدباء القاصين عدنان كزارة، والاديبه بيانكا ماضيه، وهاني دقة، وإيمان كيالي، وجمال الطرابلسي، وصافيا شيخو، ومدْرس محمد تعلكلي بمجموعة من قصصهم القصيرة، والقصيرة جداً. ومن المعروف ان الشاعر الأديب محمود علي السعيد هو رئيس لجنة حلب للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين والمسؤول الثقافي في النادي العربي الفلسطيني ورئيس تحرير مجلة المقاومة الفلسطينيه بحلب وعضو اتحاد الكتاب العرب وقد ترجم له كثير من قصصه وقصائد القصيرة جدا إلى معظم لغات العالم وحصل على دروع تكريمية عديده.

للوطن البقاء

• حسن حبيب سبأ

ابتُلينا حتّى زُلزِلتِ السّماءُ
وعمّ في مرابعنا الفنـاءُ
بكينا حتى جافَى العينَ ماءٌ
فنزّتْ من مآقينا الدّمـاءُ
هنا الآلاف يحصدها الدّمارُ
وتحترقُ المصانعُ والبناءُ
براكينٌ تثورُ بكلّ حـدبٍ
فلا أملٌ يلوحُ ولا رجـاءُ
تكاثرتِ الوحوشُ على بلادي
وكلّ الكون ناصبنَا العداءُ
فقاوَمنَا الغزاةُ بكلّ عزمٍ
يطيبُ الموتُ،للوطنِ البقاءُ
فنرخَصُ كلّنا من أجلِ أرضٍ
مباركـةٍ تقدّسها السّماءُ
فهبّ الجيشُ يستبقُ المنايا
فمِن أقدامِهِ انبثقَ الضّيـاءُ
وراحَ يحاربُ في كلّ ساحٍ
يقوّي من عزيمته الـولاءُ
شعارُهُ موطنٌ شرفٌ وركنٌ
هو الإخلاصُ للوطنِ الفداءُ
فقدّمَ خيرَما ملكتْ يـداهُ
من الشّهداء فازدادَ الوفـاء
وبات الشّعبُ لا يبكي شهيداً
وفي الحارات يزدحمُ الوفاءُ
كأنّ الناس في عرسٍ جديدٍ
تودّعُ بالزّغاريـد النّساءُ
فإن يقضي شهيدٌ في قرانا
سيعلو الصّوت يرتفعُ النّداءُ
إلى الجيشِ هلمّوا وارفدُوه
فهذا الجيشُ للوطنِ الـدّواءُ
فآلافٌ من الفتيان لبّـوا
نداءَ الأرضِ والتحقتْ ظِباءُ
تحوّلتِ الغزاةُ إلى فلـولٍ
تميدُ الأرضُ فيهم والفضاءُ
نسورُ الجوّ حامتْ في سَمانا
هي للجندِ في الأرضِ الغطاءُ
تصبُّ الموتَ للأعداء صبّاً
وجُندُ الأرضِ إنّهم القضـاءُ
حماةٌ للدّيارِ فلا يُنسيهـمْ
عن الإقدامِ موتٌ أو بَـلاءُ
لهمْ باعٌ بساحِ الموتِ طُولى
فلا جزْرٌ كموجِ البحرِ جاؤُوا
هنا مدٌّ وكرٌّ لا يفـرّوا
كسيلٍ لا لمقدَمِـهِ وراءُ
فهم خلف الغزاة فما استداروا
فلا نـومٌ إذا حلّ المساءُ
وهم يقظى وسادتُهم سلاحٌ
فهذا الصّبرُ جذّرَهُ انتمـاءُ
أتانا الحزنُ والرّاياتُ صُفرٌ
بلونِ الموتِ يُنجزُ ما يشـاءُ
فلونُ الرّاية الصّفراء رعبٌ
إذن قد حلّ في الخصمِ الوباءُ
هو الطّاعونُ قد أشرى بأرضٍ
هو الموتُ الزّؤامُ هو الشّقاءُ
فلا هربٌ فذا قدرٌ تجلّى
وحام الموتُ فانحبسَ الهواءُ
فضاقَ الصّدرُ وارتعشتْ غُزاةٌ
تعالى من مرابضها العواءُ
وهمْ سكرى بكأسِ الموتِ خوفاً
كأغنامٍ مآثرُهَا الثّـغاءُ
فإن خاضتْ رجالُ الحزبِ حرباً
جهنّم ضُرّمتْ وبها اكتواءُ

الشام فيها النصر مختزن

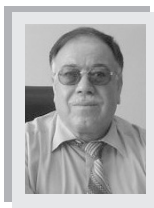

• حسين جمعة

دعني أحدث بخطب فادح جلل
تسع تدمت بسيف الغرب والدول
تسع تلظت بناء تصطلي ألماً
ليلاً نهاراً من الإرهاب للسفل
تجرد السيف تياهاً بشفرته
وقد صباه عصاب العرق والملل
قطع الرقاب تغذى من ضلالتهم
يدمي القلوب ويبكي الصخر في الجبل
قد سوغوه جهاداً في شريعتهم
فازت شريعتهم بالحقد والخبل
هاجت وقاحتهم خزياً بنسبتهم
صاروا مثالاً لوحش قاتل ثمل
بات النساء سبايا في مخادعهم
في ظل فتوى لدجال من الخول
قد مزقوا شرقاً غصباً بخستهم
عاثوا فساداً كما الذؤبان في الحمل
صهيون أهداهم غياً بفتنتهم
غوائل الشر قادتهم إلى الزلل
وهلل الإثم يدعوهم إلى نزق
أغراهم بنداء خادع خطل
باسم التحرر في أوطانهم هدموا
بنيان شعب وأمن صين من خلل
إرث عظيم تردى حينما شرقت
أرض بحرقتها تغلي من الدغل
خذني إلى بلد لاقى سلامته
هيهات تحظى بغير الفقد والثكل
يا حسرة أكلت أكباد أمتنا
ماجت بخوف من الأوغاد والشلل
ما زلت أرنو إلى جند غطارفة
نذروا الشهادة عهداً دونما حول
أضحت شهامتهم رمزاً لعزتنا
صانوا الأمانة بالأرواح والمقل
عضواً على الجرح صبراً في مصاولة
صاغوا البطولة آلاء من المثل
إني لأرمق آساد الشرى زحفوا
بكل توق يهادي المجد بالأسل
يزيل ظلمة ليل يبتلي وطناً
حزناً يفتت بالأصلاب والحلل
والشام من قدم جادت بأفئدة
في كل معترك لبت على عجل
تسمو بأصحابها في عارض لجب
تقاطروا سنداً من غيرما وجل
قد جاءها قاسم يجري بساحتها
صار المثال لصدق القول والعمل
ضحى بروح هفت للخلد طائعة
يا بهجة الروح عند الله في الأجل
أقول مفتخراً بالصحب قاطبة
أنتم مروءة أوطان من الأزل
أرنو إلى الشام فيها النصر مختزن
بكل رمز يحادي النجم بالشعل
يا دوحة الله أنت النور متقد
أنت الكرامة إذ قدت على مثل
يا دوحة الله هزي النخل في ثقة
يساقط الرطب المعسول بالقبل

غناء اللوحة

• فرحان الخطيب

-1-
مـنْ أيـنَ هـذا اللـحـنُ في الألوانِ ..
والتّشكيلُ يصدحُ ..
أو كيفَ تدعو الجُلّنارَ إلى خيالكَ !!؟؟..
كيـفَ قـامَ الـزّهـرُ يمـرحُ !!؟؟..
إنّي رأيتُـكَ حينَما خبّأتَ عشقَكَ ..
في ثنايا اللوحةِ الخرساءِ ..
قامَ العشقُ يفضَحُ ...
- 2 -
لمْ أدرِ كيـفَ تـصاعدتْ زفراتُكَ الحرّى ...
إلى لونٍ مجنّحْ !!
وحَملْتَ من عبقِ الثّرى ...
أمّاً وتنّوراً يمورُ ..
و (غُمْرَ) أرغفةِ الملوّحْ ..
- 3 -
قُلْ لي بأيّ براعةٍ ..
جسّـدتَ هـذا الشّـيخَ في البستانِ ..
قُرْبَ التّينِ والزّيتون ..
وقْتَ الفجرِ ..
يخمُشُ ذاكَ الثّلمَ ..
والمحراثُ خدَّ الأرضِ جَرْحْ ..
وتطلُّ من زوّادةٍ أفعى ..
تُشاطرُهُ الطّعامَ ..
تسلُّ بينَ الأرضِ تسرَحْ ..
- 4 -
إنّي لأُدهشُ ..
إنْ نظرتُ إلى أبي ..
في صورةٍ يسمو بها ..
فأراهُ في صمتِ البلاغة ..
فوقَ سحرِ القولِ ...
أفصَحْ ...
- 5 -
قُلْ كيفَ ترسمُ مقلتاكَ ..
عطوفةَ (الباشا) كصقرٍ ..
يقنصُ الجيشَ المسلّحْ !!؟؟
..
- 6 -
أوْ كيـفَ تـقـطُـفُ مـن ربا التّاريخِ ..
أعمدةَ الحضاراتِ التي ..
رقَصتْ على أجراسِ مَسْرَحْ !!؟؟
قلْ كيفَ ترتسمُ الشّآمُ ..
على يديكَ كأنّها ..
بـوّابـةُ الـتّـاريـخِ لـلآتـينَ والغادينَ تُفتحْ ..!!؟؟
- 7 -
قلْ كيف تبزغُ ..
من أناملكَ النّديّةِ ..
زهرةَ اللوز التي طافتْ ...
على (شعفٍ) ومنها اللّوزِ فَوْحْ ..
أوْ كيفَ تنتظرُ المضافةُ ..
خُطوةَ الضّيفِ الجديدِ ...
وَديكُها يعلو بهِ جَرْسُ الغناءِ ..
يصيحُ..
يعلمُ ، أنْ سَيُذْبَحْ ..!!؟؟
- 8 -
قُلْ كيفَ تسحبُ منْ عناقيدِ الغرامِ ..
خمورَها ...
وتـصـبُّـهـا في آنـيـاتِ الانتظارِ!!؟؟..
تكادُ من دَنِّ التّرقُّبِ ..
نأمةَ العشّاقِ تنضحْ ..
ويُضـيءُ لـونُـكَ للشموعِ سؤالَها ..
وتظلُّ لوحتُكَ السّخيّةُ ..
كلّما شاهدتُها ..
تعصى على فهمي وتشرحْ ...
- 9 -
هذي شموسُكَ يا أخي..
ياقوسَ ألوانٍ تفيضُ..
لتغسلَ الكونَ المملّحْ..
إنّي فديتُكَ يا أخي..
لمّا أزلْ..
أدعو لكي ترقى وتنجحْ..
لابُدَّ أنّكَ ناجحٌ...
والـكـلُّ حـولـك إنْ أرادَ الحبَّ..
يَجْنَحْ...

• • •

• إلى أخـي عـامـر.. فنّاناً تشكيليّاً.

قصيدتان

• صفاء فرحان الشمندي

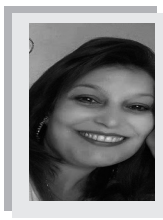

غياب

سأكتب من حرقة اللظى
كلما هزني الشوق
ذات صيف
لا أعرف متى وكيف
وقع من القلب هاجري
وخاطف الروح
طائرٌ في سود الليالي
خلف البجعات البيض
لا أعرف متى سيعود
لأشدو له أغنية صغيرة
تعلقتُ بها لأمرٍ
يصعبُ إدراكه
كما تتعلق الأشياء
بظلها الخلاب
منذ الصغر
أحلم بالعالم المنسي
وأنا أهوي إلى القاع
أستغرق بعض الوقت
لأستعيد أنفاسي اللاهثة
في قبضة المرجان
تخمرت به ..
جُلّ أركاني
≈≈≈≈≈≈≈≈

دوّارة الشمس

من ها هنا
تبدأ المساءات الجميلة
بعد غروب الشمس
حيث تهيم أرواح العاشقين
أغطي السماء بأوراق النيلوفر
وأكتب لأجل الإصابة بالعين
على كل نجمة
في شوارع الليل،
هنا يرقد الحجر الأزرق بسلام
كان رضيعاً من ضروع الشمس
يطرق بابي في ظل غيمة
أقرأ له من كتبي المترفة
من السحر
ينبجس الليل
من عينيه الصافيتين
يتأجج العطش
في لهيب الصحراء
الماء وراء أبوابنا الموصدة يغلي
والمدينة الفاضلة من ورائنا نائمة
بلا ضجة يهبُّ النسم
ويقضم في العتمة
عمرنا.

صوت المسافات

•بلقيس حميد حسن

ينزوي بعيداً،
أملاً مهاجراً
يحط على أهداب الروح
ويرحل...
ريشتُه تتحدث بالورد
بأقدار الأوتار الظمأى
يخفقُ خلف واحات.. كانتْ
لوَحته الغربة
أبكتهُ لعبة طفل
وثنايا فستان...
....

أجلسْ من فضلك
يكفيكَ دوران الأرض
لتسقطَ
بين سنين القهر
يكفيكَ
شرياناً للنزف
يبكي وطناً في الأعماق
إسندْ رأسك واحلمْ
فالحلمُ هنا مسموح
ولغتكَ ممنوعة
..

لا تعطي ظهركَ للريح
مرتجفٌ أنتَ والبردُ شديد
بلادك آه..
حين تسافر بلدان الناس
تدعونا
لطاولة أخبارك
ولمركز الأرض
إستعنْ بحفيفكَ في الليل
فالصوتُ يأكل المسافات والدرب طوووويل
....
هل أدرتَ مفاتيح الأبواب؟

لا ندري
من أين تأتينا الأفاعي
أطفئ السراج
اقرأ آيات النور
استمعْ لرنين صداك
فأنتَ وحيد.....

من مجموعتي اغتراب الطائر
1996

رِسالة من والدٍ لولده...

•وجيه حسن

ولدي الغالي، فلذة كبدي..!
أتذكر يا صغيري،«وقد صرتَ اليوم شاباً قدَ الدّنيا»، تلكَ الليلة المشؤومة، حين ارتفعت درجة حرارتك، فوصلت لقوس الأربعين، أو أقلّ بقليل؟! أتذكر يَا حبيبي، كيف تحوّل بيتنا المُستأجَر المتواضع، يومها، إلى "مستشفى صغير"، دبّت فيه الحركة والنّشاط دفعة واحدة؟ كيف صارت أمّك الحنون ممرّضة ناجحة؛ إنْ لم أقلْ "طبيبة ممتازة"، ضالعة؟ أعطتك أوّلاً حبّتي "إسبرين" للأطفال، كخافض للحرارة الملعونة، التي غزَتْ جسدك فجأة، فهذا إسعافٌ أوّلي، تعرفه كلُّ أمّ! أحضرَتْ قطعة قماش بيضاء نظيفة، ووعاءً نظيفاً فيه ماءٌ بارد، بلّلت القطعة، عَصَرَتْها، فرَشَتْها على جبينك الزّاهر الأغرّ، لامتصاص شيءٍ من تلك الحرارة الغازية..عاودَتْ هذا الفعل الحميد مرّات ومرّات، حصل ذلك بليلة شتويّة، بالغة البرودة، باهظة الصّقيع، وقتها، لم يتطرّق لنشاطها أيُّ ملل، لم يبدُ على مُحيّاها السّمحَ النّديّ أيُّ أثر للتأفف أو الملل أو الضّجر! أوتذكر، كم مرّة استخدمت أمّك الحنون "ميزان الحرارة"، لمعرفة ارتفاع درجتها، أو انخفاضها؟ كان هبوطها، ولو قليلاً، كافياً لإحياء قبس من الفرح، باثّاً الطمأنينة في قلب كلٍّ من الأبَوين معاً!! أتذكر يا ولدي، كيف كانت أمّك، طيّبة القلب، حريصة على التقليل من الحركة والضّوضاء، مُطالبة إيّايَ بإطفاء مصباح الغرفة الكهربائي، على أنْ أترك مصباح الرّدهة القريبة، يسعل ببعض الضّوء، على قليلاً من النّعاس يصافحُ عينيك الذابلتين، فتركن للنّوم بسكينة وهدوء، عندها تهنأ النفوس، تطمئنّ القلوب، تهدأ الانفعالات! بتلك الليلة الرّصاصيّة الباردة، نامت الكائنات جميعاً، ما عدا صوت ديك طاعن لجار قريب، كان ينّ هو الآخر، كأنّهُ يعانيَ ارتفاعاً مماثلاً بدرجات الحرارة..
نعم يا بُنيّ، المستيقظون: (أنتَ..السُّخونة المُعادية..أمّك..أنا.. الدّيك الطاعن.. المصباح الكهربائي، الذي يرشحُ منهُ إلى فضاء غرفتك بعض الضّوء الباهت.. والقلق الذي سكن قلبي وقلب أمّكَ بآن)! بتلك الليلة الجليديّة الصّعبة، همست أمّك بأذني: (يا رؤوف، حرارته تقلقني، أنا أخاف جداً من ارتفاع الحرارة عند الأطفال، ألم تسمع بالطفل، "سليم"، ابن جيراننا، كيف اختطفت الحرارة المرتفعة طفولته الريّانة، فارتحلَ عن هذه الدّنيا بليلة ليلاء؟! أكنتَ تسمعني يا ولدي، وأنا أقول لأمّك القلقة: اصبري يا "رحيمة" حتى الصباح، من أين آتي لولدنا بطبيب، بهذه الليلة القارسة المطيرة؟ أرجوك اصبري، وكلي أمرَه لله، "الصّباح رَبَاح"! كنتُ مثلها يا بنيّ قلقاً جداً عليك، كنت أداري قلقي وألمي، حتّى لا أضيف لمعاناة أمّك قلقاً إضافياً، أو حزناً آخر.. لكنّها، بعاطفة الأمومة الربّانيّة، كانت تقرأ بتضاريس وجهي معجم الأسَى، الذي كان قدْ خطّ أبجديّته فوق مواجع قلبي، ودفقات عاطفتي!! وقتها ردّدتُ بسرّي، بلغة "المونولوج"، "المالُ والبَنُونَ زِينَةُ الحياة الدّنيا.."! فإذا نهَش المرض أحد الأناسيّ، كان المالُ أحياناً طوقَ النّجاة، بعد عنايةَ ربّ السماوات والأرَضين! "الولد غال، البنت غالية"، جملتان اسميّتان خبريّتان، نطقهما لساني، أو نطقتْهما أمّك وحدَها، أم نطقهما قلبانا معاً، ونحن ببوتقة هذا الموقف العصيب، الذي لا نُحسَد عليه البتّة!! الحقّ، حصَل هذا مرّات غَفيرات.. ولدي، فلذة كبدي، "سنان"، أستغربُ منْ حرارة مجنونة، غزَتْ جسَدَك الطفوليّ الطاهر، وسِنُك لم تقفز حاجز السّنتين بعدُ، وأستهجنُ اعتداءً حرارياً كهذا، لا يخجل منْ براءة الأطفال، ونقاوَة قلوبهم، وبياض الدّاخل!! صغيري، فلذة كبدي: بتلك الليلة الخالية من الفرح، الضاجّة بالمواجع والاحتمالات - لنا نحن الثلاثة - كنتُ أقرأ بعينيّ أمّكَ سفْرَ العطف الأمومي كاملاً، بينما يداها الحانيتان، تقدّمان لك الكمّادات المائيّة، عسَى أنْ تنخفض تلك الحرارة الغازية! ولدي..كبدي..صنوروحي، كم تمنّينا معاً - أمّك وأنا - أنْ يكون أحدُنا، هو المُصاب نيابة عنك، أو هو الطريح بالفراش لا أنتَ، لتنامَ قريرَ العين، هانئَ الحال، بتلك الليلة السرّ!

• • •

حين أرسلت الشمسُ عصافيرَ أشعّتها، وقبل التوجّه لأقرَب طبيب للأطفال، لمعاينة ولدنا الصغير، هبطت حرارته، عُرفَ ذلك بوساطة ميزان الحرارة، لحظتئذ قالت الأمّ الرّؤوم "رحيمة" بفرح طاغٍ، مخاطبة زوجها:
الحمد لله، تعال انظر يا "أبا سنان"، انخفضت حرارته، صارت طبيعيّة! يا لهناءة روحي، وسعادة قلبي!
مُعقّباً قال الأب:
لنحمد الله؛ جلّ في عُلاه، لقد زالَ الخطر..

• • •

لدى الأبوَين: تهيّجت أنْبَاضُ فرح غامر، تأخذ طريقها، من القلب إلى العينيّن، اللتين كانتا لدى كل منهما، طوال الليلة المنصرمة، ذابلتين كَليلتَين..الآن استفاق، على حين غرّة، سرورٌ غائبٌ، كان غافياً...

الذباب

•أحمد ناصر

تقديم
هي قصة لكاتب روسي قدير، قرأتها منذ مدة تقارب خمسين عاماً ، فأُخذتُ بها ... ترجمتها ونشرتها في إحدى الدوريات...لعلها كانت أول قصة أترجم. ولأن ذاكرتي لعوب تهمل وفق هواها وتتمسّك بالجوهر،و لأن غبار الزمن تطمس الكثير، نسيتُ اسم المؤلف و الدورية التي نشرتها... القصة في نظري شائقة. فحواها دبق،بقي على سطح الذاكرة ، أبى أن يرسو إلى الأعماق وظل يطلّ مرات و مرات. لهذا رأيت أن أعيد سردها تعميماً للفائدة و المتعة ... أتمنى أن يرقى سردي؛ ولو قليلاً، إلى مستوى النص الأصلي، و أن تفعل القصة ما فعلتْه بي ذات يوم ...

-2-

... كنتُ أتناول طعام الفطور ملسوعاً بسوطين. مع أن وجبة الفطور عزيزة عليّ أكثر من سواها ، لكن ماذا أفعل؟ تصلني في الغالب منغّصة!. دقات الساعة الحثيثة و ذبابات ثلاث لعينات، لا أدري من أين أتت . سوط الساعة اعتدت عليه منذ درجت نحو عتبة الوظيفة، أما هذه الذبابات فقد أطارت صوابي إلى أبعد حدّ... بدت إليّ كأنها ربيبة خيمة غجرية ، ديدنها الإلحاح ، و الإلحاح وحده ...
وقفتْ إحداها على صحن المربّى فثارت ثائرتي ، ضربتها بقفا يدي فكدت أقلب صينية الطعام ، و طارت الذبابة ، و هي تطن مسرورة، إلى لوحة شجرات البتولى المسربلة بالثلج، و ضربتْ بأجنحتها أختَها التي كانت قد أرخت برازها فوق بياض اللوحة الناصع، كأنها تدعوها لأداء دورها في مسرحية النكد ، فتلبي الثانيةُ الرغبة بكل اندفاع وحميّة... تطير بنغماتها وقبحها و قذارتها إلى طفْلي ؛ ملاكي الحبيب ، النائم بلذة ملائكية... يجفل الملاك و يميل رأسه إلى اليسار، فيرتجف قلبي و أنهض كالمسعور نحو حبيبي المعذّب، فتطير الذبابة عن وجهه و تعود إلى صحن المربّى... تبيّن لي و أنا أسوّي الفراش وجود ذبابة ثالثة على أنامل قدمه اليمنى تساهم في أحداث المسرحية المقيتة، طيّرتها ، فعادت إلى اللوحة ...لاحقتُ حركتها الدؤوب بحواسي و جوارحي، محاولاً الحدّ من أذيتها ، لكن من دون جدوى . محاور ثلاثة متكاملة ،مترابطة أنهكتْ أعصابي... كففتُ عن تناول الطعام ضائعاً ، هاشّاً على الذبابات زائغ البصر بين المربّى و اللوحة و وجه طفلي الحبيب . رحت أتتبعها بغيظ و حنق شديدين . ماذا بوسعي أن أفعل سوى العضّ على شفتيّ و الشدّ على قبضتيّ يديّ لدرجة انغراز الأظافر في الراحتين ! عنادٌ يفوق الخيال ...
تطلعتُ إلى الساعة ، فرشقتني بطلقاتها ... بسرعة رفعت الطبق الذي فسد ، سوّيت من وضعية ابني ، و ألقيت النظرة الأخيرة على اللوحة المرقّطة بالبراز ... هرعت إلى وظيفتي في المعمل بما يشبه الركض ، تلفّني من رأسي حتى أخمصيّ صورةُ الذبابات بغلالة ممضة ، عصيّة على الوصف...
أخرج مراقب الدوام " الدفتر" و هو يرمقني بنظرة ، مزيجها تقريعٌ و إشفاق . " لهاثي يثير شفقته ! و عرقي يتصبب كأنني خضت سباق الماراتون ! " فكّرتُ مغتاظاً من صبيحة هذا اليوم . خطر ببالي أن أروي له حكاية الذبابات ،فهو لا يعرف سبب تأخري المضحك- المبكي ! رأيتُ أن هذا سيروّح عن نفسه ، لكنه ازورّ عني ، فلجمت لساني. كنت أتمنى ،رداً على هذا الازورار، أن أصرخ في وجهه : " دفترك يا عزيزي ، بالنسبة إليّ أمقت بكثير من الذباب و طنينه !" لكنني كبستُ الملح على الجرح و قصدت طابقي الرابع ...
عند فسحة الدرج في الطابق الثاني ، طابق المدير العام- يا للرهبة في لفظة "المدير" !!- استوقفتني جلبةٌ غير معتادة ، فانعطفتُ إلى حيث الجموع . كانت سكرتيرة المدير" ناديا " تضرب بكعبي حذائها أرض البهو مغطية على اللغط السائد . ثبّتت المذكرة في لوحة الإعلانات قاصدة أن تعطو لترتفع تنّورتها قليلاً و يزداد جمال الساقين سطوةً .
كانت تتعالى بين الحين و الآخر نتفٌ من التعليقات التي ترافق عادة صدور مثل هذه المذكرة الهامة : " قد شمل هذا التعديل المعمل بكامله ! ...
دفعني هيجاني و حبّ الاستطلاع إلى مزاحمة الأكتاف للوصول إلى المذكرة الهامة المنتظرة التي علقتها السكرتيرة للتو. فعلق الطيب بها و علق الحنان!
كررت قراءتها مرات :
مذكرة إدارية رقم- 1
بناء على المصلحة العامة ، و حرصاً على رفع سوية الإنتاج ، و دعماً للاقتصاد الوطني ، و بعد الاستئناس برأي مجلس الإدارة في جلسته رقم..... تاريخ ...
المدير العام يقرر ما يلي :
مادة أولى : يُعفى السيد صالح محمد صالح من منصبه كرئيس لدائرة الحركة و التشغيل ، و يُعين رئيساً للدائرة الفنية و القانونية.
مادة ثانية : يُعفى السيد سالم محمود سالم من منصبه كرئيس للدائرة الفنية و القانونية ، و يُعين رئيساً لدائرة المحاسبة و المبيعات .
مادة ثالثة : يُعفى السيد أمين محمد المحمد من منصبه كرئيس لدائرة المحاسبة و المبيعات ، و يُعين رئيساً لدائرة الحركة و التشغيل .
مادة رابعة : تُنفّذ هذه المذكرة بدءاً من تاريخ إصدارها ، و تُبلّغ إلى مَن يلزم .
المدير العام لمعمل ...
.....
فصلني عن العالم مقارنةٌ مقيتة و قرعُ كعبي السكرتيرة! لعلّ في كعبيّ " ناديا " ألف حكاية و حكاية!! ...

سكوب بالألوان

•بسام الحافظ

تغص ساحة المدينة بكل من هب ودب، للتعبير عن شعورهم، منددين ورافضين لكل ما يحدث من تدخلات بأوطانهم، وأشتعل المكان بالهتاف. مرددين خلف رجال الهتافات، والبعض منهم يردد دون سماعه الكلمات، يهتف حامض حلو لفان، فقد ليثبت رفضه.. يتوسط دائرة الدبكة العربية، وعلى صوت الزمارة (حباشة السعران) قائدة فرقة الدبكات، وبطلة أقوى هلهولة في المدينة. إنها مثل (حبلجة شعيب) تجدها في جميع الأمكنة.. تتفقد خيم العزاء والأفراح والمناسبات الوطنية والقومية والتدخل بعقد مجالس التحكيم فيما إذا ورد ها نبأ خلاف وقع بين زوجين. حباشة علامة فارقة.. لا يمكن أن تفوتها فائتة.. لقبت بأخت الرجال والتي تدور على الدبيكة وهي تحثهم وتحرضهم..:- عفية أولادي.. خليكم رجال.. اليوم يومكم؛ بحيل يرافقها عازف الزمارة، الذي يجثو على ركبتيه كلما تعالت أصوات الشوباشات وخبط الأرض بقوة.
الطقس شديد الحرارة.. يخف صوت حباشة ويحمر وجهها.. ينهد حيلها وترزح تحت إعياء سينفد قواها.. يتفصد منها العرق بغزارة، ثم يزخ منها ويزخ. تحجب ذوائب شعرها الرؤية أمامها.. تنحسر العصابة عن رأسها.. تفقد قواها وتقعد أرضاً أومأت إليهم بعينها إيماءة وكأنها تقول لهم أنا متعبة، وأنشأت تدمدم
- صبوا على رأسي الماء البارد، لعنة الله على اسرائيل الحقيرة.. وسكنت.
تختلط وتندمج الهتافات الملتهبة بخبطات الأرجل وهدير مكبر الصوت القادم من المنصة والنداء على الفلافل والعصائر وتلال المشبك التي وهبت الذباب وليمة لتعقد حفلات أعراسها كذلك.. يدفع عريف الحفل بصوته الجهوري بقوة..
- يا أبناء الطبقة الكادحة من عمال وفلاحين وصغار كسبة ؛ وكما قال أجدادكم: (بيع أمك وأشتر بارودة.. البارودة أفضل من أمك وقت الشدة تفرج همك) مؤامرة لن تنطلي علينا، لنكسر قاعدة الهتافات والتصفيق ونرفع قبضاتنا عالياً ونردد.. اللُحمة الوطنية شعارنا.. يا جماهيرنا الحرة..
رصدت كاميرا النقل المباشر، شخصية بسيطة وساذجة يدعى رداد التنباك معتلياً سطح بناء يشيد حديثاً، وهو ينهش لقيمات من رغيف خبز فقير اليدام، وبيده الأخرى يلوح جهة المنصة وقد ثُبتت الصورة عليه (زووم) وارتسمت على محياه الدهشة، كأنه يتساءل في نفسه - العمى؟! هل أخذت حصتك من اللحمة رداد أفندي راحت عليك يا ابن الغشيمة؟! مثلما حرمت عليّ أمي لم نحصل منهم على نتفة..
وغادرت أمة الناس المكان تاركين خلفهم أعقاب سجائرهم الرخيصة وفوارغ المياه الغازية.. تصلح حباشة عصابة رأسها، ثم تدفع بصوت خجول خلفهم:- هذا ما عندي والباقي عليكم..
وجاء رداد صوب حباشة مواسياً.. قدم لها بقايا الرغيف وهو يدمدم بنزق وحرقة – خذي حبوشتي، أين كنت يا حزينة عندما وزعوا اللحمة..؟!

في الغياب

• حسان سراي الدين

الزمن الهارب من فتحات ساعة الحائط المعلّقة في غرفة دراستي، كان يغيّر طبعَه، فيصبح وديداً ولطيفاً مثل حيوان أليف، في تلك الغرفة النائية..
كانت لتلك الغرفة رائحةٌ خاصةٌ تميّزها عن باقي غرف الدار، رائحةٌ تذكّركَ بزيارة المقامات المقدّسة، شيء له من السفر في التاريخ والقدم..
كنت دائماً أتساءل!.. ترى؟ لماذا تجلسَ في تلك الغرفة المنزوية، دون باقي غرف البيت؟!
نعم لقد اختارَتْ وأصرّتْ، أن تأخذ هذه الغرفة، التي تقع خلف المضيفة، والتي يمرّ طريقها أمام نافذة المضيفة..
ربما لتتملّى أو تسترق النظر إلى صورة المرحوم جدّي -الكبيرة والمعلقة بصدر المضيفة- بشاربيه الغليظين، والمعقوفين بشموخ إلى الأعلى.. هذه الصورة التي طالما سحرتني بهيبتها ووقارها، وما تخفيه من تاريخ في مسيرتها العظيمة..
• • •
كنت أتصارع مع عقارب الساعة، لأنهي واجباتي، وأذهب إلى صومعتها الحنون، حيث تقصّ عليّ حكايات الجنيات، والشاطر حسن، وسير الأنبياء، وسير البطولات، بينما تكون قد أعدّتْ لزيارتي أطايبَ من أطعمتها اللذيذة..
كانت ترسلني لأسدد بعض النقود للبقال، لعلمها كم يبعث هذا في نفسي من الثقة والسرور، نعم.. مُذْ كنت في الصف الخامس، كانتْ ترصد حركاتي.. نظراتي وأهوائي، لتتعرّف إلى ميولي ورغباتي.. تقوّمني وتعجنني..
فأنضج على نار حكمتها الهادئة.. كما أرادت لي، مرّةً عبر السّير الدينيّة، وأخرى عبر السّير البطوليّة، وغيرها من خلال سير الميثيولوجيا الهادفة.. كنت أتنقّل في حدائق روحها العظيمة.. أعبّ وأنهل ولا أرتوي..
ثم أعود لغرفتي، محمّلاً بأحلام وطموحات عظام، فأشعر وكأنني خرجتُ من عصر لأدخلَ في عصر الواقع، نعم كنتُ أخرج من عندها مزدحماً بالأفكار والتطلعات التي كانت تشعّ ببريق ماسيٍّ من حدقتي عينيّ النّهمتين..
كنّا –في ذلك اليوم- مانزال نتحلّق حول أمي. كانتْ تجهز لنا (عرائس اللبنة) لنأخذهم معنا إلى المدرسة كوجبات مساعدة، تصبرنا حتى موعد الغداء.. وكنتُ –بسبب عقلي المتسائل- قد عجزْتُ عن معرفة السبب، وراء تسميتها بالعروس.. ربما بسبب عدد اللفات التي تشكّل استدارة قوامها.. أو ربما.. لأنها شهيّةٌ دائماً!..
أخي الأصغر كريم، كان قد حاول ثلاث مرات –دون أن تكلّل محاولاته بالنجاح- رَبْطَ شريطتي الياقة المدرسية الحمراء، والتي كنّا نربطها فوق (مريول) المدرسة الخاكي.. وكان قد تغيررنين صوته المتبرّم، ما يوحي بانفجاره في نوبة بكاء بسبب ذلك.. ولكن أمي سارعتْ لتنقذه من الاكتئاب، الذي بدأ يحاصر روحه ومزاجه..
وكما في كل يوم من أيام المدرسة، كان الجميع منهمكٌ بشدة، في نصف الساعة تلك، والتي تسبق موعد مغادرتنا إلى المدرسة.. وهنا يصبح انتقالنا إلى باحة الدار، محمّلين بحقائبنا و(عرائس اللبنة) -لانتظار بعضنا بعضاً- عامل ارتياح نفسيٌّ، يبدو جليّاً على محيّا أمي..
• • •
لا تفارق ذاكرتي، تلك اللحظة التي سمعتُ فيها صوتَها، كان يائساً ومحبَطاً، يشوبُه ارتجافٌ، والكثير من التوسل والرجاء، عندما قالتْ بتهالك:
دخيلك.. يا امرأة سعيد!! يمكن (بدّي أموت)!!
نظرتُ ناحيةَ الصوت المُصْفَرّ.. كانت جدّتي!.. قد تهالكتْ مستندةً إلى الجدار في باحة الدار، وكان وجهها الممتقع بالصفرة، قد بدا كأنه قطعةٌ من الصلصال..
ينضح بالخوف من مصير تبيّن واضحاً لصاحبته.. وبدا جليّاً، أنها تجتاز المسافة الفاصلة بين عالمين، لا يستطيع أحد سواها رؤيتهما.. راحت عيناها المضمحلتان، تتنقلان بحسرة على الأشياء حولها.. بينما أمسكَتْ هي - بيدها المتشققة والمرتجفة- شبك النافذة المعدنيّ -والمشغول على شكل دوائرَ متداخلة- قربها، وشدّتْ قبضتها عليه، عند نهاية الدائرة التي تَبدأ عندها دائرةٌ جديدة، كأنها تتمسك بشيء ثمينٌ، يساوي الحياة..
اتجهتْ أنظارُ الجميع بفزع، ناحية الصوت المتضرّع..
استبدّ بنا قلقٌ ورهبةٌ كبيرين، عندما بادرتْ أمي مشجعةً: سلامتك.. يا امرأة عمّي .. خبّريني.. مما تشكتين؟!
جالتْ بعينيها الذاويتين، في أرجاء المكان.. كمَنْ يبحثُ عن شيء قويّ ونفيس، تتشبثُ به، وتناضل من أجله..
عندها التقتْ عيناها بعَينيّ، ولاحظتُ ساعتئذٍ، أن عينيها عسليتان، تشوبُ لونهما خضرةٌ فاتحة، وأنهما تستغيثان، وتتمسكان بذيول الحياة..
تفضلي.. ادخلي يا امرأة عمي - وساعدَتْها حتى أوصلتها إلى الغرفة- استلقي قليلاً، واسترخي، سأعدّ لك (كاسة متّة) ساخنة، وستشعرين بعدها بتحسنٍ كبير. إن شاء الله.. قالتْ أمي
ترنحتْ قامتها المستندة إلى ذراع أمي، بينما هي تردد مشجعةً نفسها:
أي.. (مليحة المتّة) .. (مليحة.. مش هيك؟!)
نعم.. (كثير مليحة..) الآن تشربين كأسين، وستشعرين بعدها بتحسنٍ كبير..إن شاء الله.. لا تقلقي يا امرأة عمي، (شو مفتكرة الموت نعاس؟!) قالت والدتي مشجعةً..
أنت والحمد لله بصحة جيدة، فقط أنت لم تَنَمي جيداً ليلة أمس.. تابعتْ أمي تشجيعها، بينما كنا نحن نغادر إلى المدرسة..
• • •
بدت الحارة غريبة عليّ عند عودتنا من المدرسة.. شعرتُ أنني تهْتُ، أوأضعتُ الطريق.. الناس متجمعون، ونفرٌ غريبٌ وكثيرٌ، يكتظّون متجمهرين، أمام البوّابة، وداخل باحة الدار.. عندما شاهدتني جارتنا الشابة (سلوى)، ولطالما كنتُ أهيْمُ في ملامح وجهها المشرق.. بدتْ سلوى في هذا اليوم حزينةَ الوجه، ومدمَّرَة الملامح، تتجمع في عينيها اللوزيتين سيولٌ، تنتظر الانديا ح..
تشجّع يا وسيم.. قالتْ، وأدخَلَتْ أصابعَ كفّها العطرة في شعري المندّى بعرقٍ بارد..
تجمّدْتُ في مكاني.. رميتُ حقيبة المدرسة في الطريق..
وصرخْتُ بكل قوة صوتي
(لا.. لا..)
وطوّحتُ ووليْتُ هارباً.. لا ألوي على شيء، تاركاً شقيقي الأصغر كريمٌ حائراً، لا يعرف ماذا يفعل..
رحتُ أراقب البيت من بعيد، غيرقادر على الدخول..
بينما لم تعُدْ تفارقني صورة عينيها العسليتين الضاربتين إلى الخضرة، وهما تتشبثان بعينيّ، ورحْتُ ألومُ نفسي، أنني لم أستطع أن أمنح تلك العينين، أيّما طوق نجاة، عندما أشحتُ بعيداً بعينيّ عن نظراتها، وتسلّلْتُ سريعاً –كمَنْ يُرِدْ أن يتخلّص من كابوس مخيف- إلى المدرسة..
شعرتُ بحب كبير، راح يتفجّر في قلبي نحوها.. ورحتُ في الطريق أتضرّعُ إلى الله أن أعود فأراها جالسةً كعادتها في صدر الغرفة، تقلّبُ في الصور القديمة، تخاطبُ أصحابَها، وتعاتبُ غيابَهم الطويل.. بينما هي تنتظر عودتي، لأحدثها عن يومي المدرسيّ، وشقاواتي ومعابثاتي..
• • •
بقي باب الغرفة مقفلاً فترةً من الزمن، كنتُ -خلالها- وفي كلّ يوم، وأنا عائدٌ من المدرسة، أتوقع أن معجزةً سوف تحدُثُ، وسأشاهدُ بابَ غرفتها مفتوحاً، وأشاهدُها حاضرةً بكلّ أُنسها، - وكعادتها- مادّةً رجْلَها اليمنى إلى الأمام،تريحها، وتدلّك بيدها اليمنى مفصل الركبة المتألم والمتآكل..
ذات يوم شتائيٍّ بارد، ومدْلَهمّ الغيوم.. وبينما أنا عائدٌ من المدرسة، محمّلاً بأمنية، راحتْ تبْهُتُ وتذوي من طول الصبر.. شاهدْتُ -من زجاج البوابة الخارجية لدارنا- باب غرفتها مفتوحاً.. ركضْتُ فرحاً ومستبشراً..
كانت غرفتها تضجّ بالفوضى.. الأغراض ملقاةٌ في شتى الأماكن، ومفروزةٌ على شكل حصص، بينما كانت عماتي وبعض النسوة الآخرين، تتقاسمْنَ حصصهنّ من التركة..
ألقيتُ ببصري على الأغراض الغالية على قلبي.. موزعةً ومقطعةُ الأوصال.. تشتكي مثل ذاكرتي الكليمة..
سألْتُ باستغراب:
(ليش)!.. هل ماتتْ (ستّي)؟!!
نظرت النّسوةُ إليّ بدهشة.. كمن تنْظرُنَ إلى مجنون..
فلقد ماتتْ الجدّة منذ أربعين يوماً تماماً..
خرجتُ مصدوماً.. فقابلتني شجرة التوت في باحة الدار.. كانت هي أيضاً، تذرف ما تبقى من أوراقها.. ذاك الشتاء..
عدتُ إلى غرفتي.. وأقفلتُ الباب.. لقد رحلتْ جدتي في الغياب.. ومنذ تلك اللحظة، لم أعُدْ أتوقع أبداً.. حصول المعجزات...

كبريائي

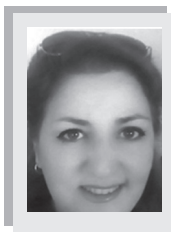

•نداء يوسف حسين

كبريائي.. وساعاتٌ أخيرةٌ من ليل، سوف تنهي ما بدأ به، وكأنه لا يشبع من لعق أوردتي المتماسكة رغماً عنها داخل الصدر، وبين النهد والنهد..
بعت كبريائي بصمت لمن أراد الشراء، فالشاري أفضل ممن باع وسرق الثمن..
تحت جسده أتلوى كأفعى تنتظر انتهاء الشتاء لتخرج من باطن الأرض فتنعم ببعض الحرية..
عيناي متعلقتان بالنافذة والفجر يكاد يصيح..
أزاميل تدقّ بجسدي، لو أنها دقت برؤوس داعش لأنهكتها وأنهكت زعاماتها..
يردد صوتي الداخلي بتقطع متعب.
(عمر الليل الشتوي طويل، ولكنه سينتهي..)
وسأتقاضى من المال ما يلزمني لأعيش في رفاهية أصرف منها على جسدي بقدر ما خسرته أو بأقل.. أو بأكثر.. لا أدري.. فلم يعد لهذا الجسد ثمن..
قطرات العرق المتصبب منه على صفحة جسدي؛ ستزول بعد الاغتسال بالماء الساخن، ولدي منه الكثير.
وفيرٌ.. كل شيءٍ هنا وفير..
انتهى من ليلته، ارتدى ثيابه وغادر، بعد أن وضع مبلغاً يبدو كبيرا من المال على سريري..
سريره.. سريرهم.. لا أدري..
لملمت جسدي بالشراشف، واحتضنتها، اغتسلت ونمت..
لم أميز وأنا أغتسل بين الماء المتدفق من (الدوش) والماء المتسلل من عينَي.. ليس هناك فرق..
بعد استيقاظي، خرجت مرتديةً ثيابي الجميلة ومنتعلةً كبرياءً يكفي لكي أتجول في السوق كما أحب..
الباعة يقفون لي احتراماً لما يرونني عليه من رفاهية وبذخ.
نظرات الإعجاب تلاحقني، ولكنني لا أبالي..
تعودت على نظرات الناس ومعاكسات المعجبين، هذا لا يطربني ولا يطربني..
الأرض الرخوة تشتد تحت قدمي، ثم أعلم أن الاشتداد هو في الماركات التي أرتديها وليس في الأرض..
أنا مرفهة، ولدي عمل الآن، عملٌ يفي ويكفي..
لطالما أحببت الجلوس في الحدائق العامة، ومراقبة الأطفال وهم يلعبون بالأراجيح..
لقد أحببت هذه الأراجيح منذ الصغر، ولكنني لم ألعب بها يوماً، كنت أطرَد من أية حديقة أدخلها، وأُبعَد عن أية أرجوحة أحبها، وذلك بفعل دفعة واحدة من والد أو والدة لأحد الأطفال، وذلك لمجرد أنني كنت وحيدة، ومتشردة كما كانوا يقولون.
هنا أنا اراقب وأستمتع برؤيتهم يتدافعون، ويضحكون..
أجول بناظري في كل مكان، ثم أعيد عيني إلى الأراجيح .بشكل لا شعوري..
أصوات صراخ شدت عيني رغماً عنها هذه المرة إلى الأراجيح..
إنهم مجتمعون حول شيءٍ لا أعرفه..
وقفت، واتجهت نحوهم..
طفلةٌ صغيرةٌ تبكي.. وتبكي.. رافضةً التخلي عن مقعدها في الأرجوحة..
طفلة بلا حذاء، تلبس ثوباً رقيقاً وبنطالاً ممزقاً، لم يزر المشط شعرها منذ أشهر ..
الأطفال الأكبر منها سناً وحجماً ينعرونها بأيديهم، ويقذفونها بالحصى الناعم . ينعتونها بالألفاظ البذيئة.. يحاولون إبعادها عن الأرجوحة لكنها تتمسك بها أكثر وكأنها تتمسك بالحياة .
سلاحها الوحيد هو البكاء..
أبعدتُ الاولاد عنها، قائلةً :
- ابتعدوا.. سأحاول إقناعها بالنزول عن الأرجوحة .
اقتربت منها، مسدت شعرها بأصابعي بلطف .
جلست القرفصاء، نظرت في عينيها الباكيتين.. سألتها :
- حبيبتي.. لماذا تبكين ؟ هل آلموك ؟
صمتت وحاولت الإجابة وهي ماتزال تلهث بالبكاء..
ثم قالت ببراءة :
- لا.. لم يؤلموني..
- إذاً.. لماذا تبكين ؟؟
- لأنهم يحتقرونني وأنا أفضل منهم..
صعقتني إجابتها، أمعنت النظر في ملابسها، وهيئتها..
ثم سألتها :
- نعم حبيبتي.. أنت أفضل منهم.. لكن كيف ؟؟
و هم أيضاً جيدون، لديهم آباء وأمهات.. وثيابٌ نظيفة.. و..
لم تسمح لي بإكمال جملتي.. فصاحت :
- هم لديهم كل ماقلت، ولكنهم لا يشعرون بشيء، ولا يستحقون شيئاً ..
أما أنا فلست أملك شيئاً مما قلت، ولكنني لن أعطي لهم ما لا يشعرون بأنه حق لي كما هو حق لهم..
أنا لدي وصية أمي المقتولة هناك في فناء بيتنا العتيق..
(عيشي وحيدة.. حزينة.. مشردة.. فقيرة.. ولكن إياك أن تعطي شيئاً منك أو لك لمن لا يستحقه.. فتعيشي بلا كبرياء..)
صفعات كلماتها أجبرتني على سؤالها :
- هل تعلمين ماهو الكبرياء طفلتي ؟؟
لا.. لا أعلم.. بل أعلم.. أنه ربما يكون منزلاً.. وأنا أكره أن أعيش بلا منزل.. أو ربما سماء.. أو شجرة.. أو أم.. لابد أنه شيءٌ جميل.. لذلك لن أتخلى عنه.. كما لن أتخلى عن مقعدي لمن لا يستحقه ولا يشعر به.
علمت الآن أنني ما زلت أسكن تحت الأرض..

ما لم يقُلهُ طالعُ الأشياء

• سليم النفار

صوتُ الهوى يُعليْ حنينيَ؛
صوبَ ماضٍ لم يكنْ، لولا هواكَ
قد علّموا قلبي، جميلاً أنْ يراكَ
في كلِّ مُفتتحٍ هنا
قد درّبوا عيني على سعَةٍ؛ بأرضٍ لا تُحدُّ
يا كلَّ أكوانِ الشعوبْ:
أجدادكمْ كثرٌ؛
أمّا أنا مهما تمادى النسلُ، لي جدُّ
في كلِّ فاصلةٍ يناديني،
وفي الإحساسِ من لهفٍ،
على بُعدٍ يردُّ
لا لم ينمْ ابنُ العراقِ؛
وفي فيحاءَ ذلٍّ لا يُصَدُّ
هي هكذا الأشياءُ نعرفها،
فهلْ في عرفنا شكٌّ وضدُّ؟
نازغتَني بكرَ الحياةْ
في طالعِ التعليمِ لم أعلمْ:
بأنَّ الأرضَ شيئاً،
غيرما خطتْ رؤاكَ
ودرستُ تاريخاً،
على الأعناقِ ممشوقاً...
تُرى تلكَ الخُطا، كانتْ خُطاكَ؟!
في فاتحِ الصَّولاتِ قلتُ:
هنا الأشياءُ اسميْ
ونقشتُ في أفلاذها رسميْ،
معاً نحيا، معاً نمشيْ،
فلا تسقطْ؛
ولا تعلو على الأجفانِ والرَمشِ
غالبتنيْ، وغلبتنيْ في كلِّ مُعتركِ؛
ولم أرضَ بغلبٍ من سواكَ
عشقٌ تولّى، وجدنا
لم نستطعْ منه انفكاكَ
«أعطيتُ ما استبقيتُ شيئاً»؛
لو بدتْ من غاربِ نجواكَ
لكنَّهم؛ سرقوكَ منيْ،
وعينُ الفجرِ تبكيْ؛ في مُحياكَ
لا أهلنا جادوا بثأرٍ قبيلةٍ
لا... لا أحدْ؛
يشكو لصوصَ الدَّارِ إلاكَ
يا دارُ أينَ علومنا
أينَ التواريخُ السَّاطعةْ
ماذا تُرانا إذْ نقولُ هنا
لطفلٍ في السَّماءِ الضائعةْ؟!
أمْ أنَّها كذبٌ على كذبٍ،
ومنْ خيالٍ راجعةْ؟
قلْ يا مُعلّمُ للتلاميذ الصِّغارْ
ماذا تُرى قد يحفظونَ هنا،
على ظهرِ الدّوارْ
أيُّ النشيدْ
وعقولهمْ في طُهرها ماذا تُريدْ؟
هلْ أرضهُ كانتْ هنا
أمْ أنَّ هذا؛ سوف يمنعهُ التتارْ؟
قلْ أيَّ فعلٍ،
يغسلُ التاريخَ في هذا النَّهارْ؟
قلْ يا نشيدَ الخوفِ في قلبيْ،
على ماذا ستستندُ العبادْ
إذْ نرتدي ثوبَ الفخارِ،
وعندَ شدٍّ لا نرى لقياكَ؟
وتغوصُ في وجعٍ تمادى
في كلِّ ناحيةٍ،
تُثيرُ النقعَ،
لا أحدٌ على أُحدِ سواكَ
يا أيُّها الوجعُ الذي، آليتَ أنْ تبني، على
معنايَ معناكَ
ماضرَّ لو أفسحتَ في بعضٍ:
بصيصَ العيشِ، في أطرافِ دُنياكَ
لم أبتغِ في الأرضِ تيجاناً، ولا قصراً،
ولا...
لكنَّها: تأبى عليَّ صروفُ ماضٍ، عتقها، أو
ما دنا منها اشتقاقْ
وأنا حبيسُ الوجدِ تحناناً، إلى برقٍ يضيءُ
الآنَ ما تاهَ
لم تُعطنِ الدنيا على وسْعٍ، سوى أرضٍ
تُنافحها سماها
في كلِّ مفترقٍ أرى كدراً،
وأُعليْ رايةَ الأفراحِ، لو غابتْ رؤاها
أتعبتني يا أيّها المزروعُ في صدريْ،
هنا حلمٌ، فهلْ كفّتْ عن الأحلامِ دنياها؟
أمْ أنَّهُ وقتٌ يسيرُ؛ ونحنُ في دربٍ، بنا غابتْ
منافذهُ،
ولمْ ندركْ لهُ بابا
كمْ سابقوا خيليْ كلاماً،
قد تجلّى في مفاصلهمْ نفاقْ
وأنا الذي أهديتُ روحيْ، في مضاربهمْ
وأعليتُ الوشائجَ؛ لا شقاقْ
لكنَّها:
تأبى الخياناتُ من مطارحها انعتاقْ
كمْ سوَّدوا صبحاً،
ولو شُدّوا وثاقْ؟
همْ هكذا لم يرعووا
حتّى ولو نادوا الوفاقْ
وطنٌ تُشتتهُ الرّغائبُ،
في فمِ الذئبِ الهلوعْ
وتلوكُ قادتهُ الضغائنَ في مفارشها،
ولو هبَّ السّطوعْ
قلْ أيَّ صنفٍ تحتويْ
من جُندكَ المخروعْ؟!
يا أيُّها الوطنُ المُشتتُ في الصَّغارْ
ما حانَ أن تعلو؛
ويُعليكَ النَّهارْ؟!
إنَّا مللنا القهرَ،
على دوامِ الانكسارْ
فانفضْ رداءَ الذلِّ،
لو ضاقتْ قفارْ
أنتَ الذي أعطيتَ معنىً في بطولاتٍ؛
على رحبِ المدارْ
أمْ أنَّها زيفٌ،
على زيفٍ يُدافعهُ خيالُ الانتصارْ؟!
مَنْ أنتَ يا صوتَ الزمانْ
مَنْ أنتَ يا ليلَ الحكايا، في شتاءاتٍ ونارْ؛
أسطورةٌ
أهزوجةٌ
أمْ لعبةُ الأطفالِ في وقتٍ مُعارْ؟
وسألتُ عن جدواكَ في قلبي، فلم أقبضْ
جوابا
حارتْ ظنونيَ في تفاصيل الذي:
أعطى لمعناي انتسابا
فاخرجْ على ملءٍ، وقلْ:
مَنْ أنتَ مَنْ سواكَ؟
هلْ أنتَ أتربةٌ وذاكرةٌ بنا،
أم أنتَ نبضُ الروح لو هاجت عتابا؟
يا أيّها الوطنُ المزنّرُ بالبغايا
يا أيُّها الحلمُ؛
المُحاصرُ بالبقايا،
من تواريخٍ هنا نعستْ ولم ترجعْ،
كأنَّ اللهَ في كهفٍ، أنامَ الحسَّ فيها
ثمَّ نادى في بقاياها،
فهلْ يصحو عليلٌ،
في ديارٍ ليس فيها غيرُ نارٍ، أو منایاها؟

لقلبٍ لا يزال

• الياس قطريب

(١)

صبايا الأمس يا قلبي كبرنَ
وما عادت لنا الدنيا بمغنى
صبايا الأمس ودّعنَ التصابي
مراهقةً وأحلاماً وحُسنا
وأُطفئتِ الدروبُ فلا حكايا
سوى ما كان من ماضٍ وكنّا
نلوبُ على بقايا ذكرياتٍ
نعيشُ حروفها فرحاً وحزنا
ويحملنا الحنينُ إلى زمانٍ
ونهتفُ يا زماناً كنتَ منّا
كبرنا فالهوى أضحى حراماً
لقد بكتِ الطفولةُ إذْ كبرنا (•)

(٢)

لا الغيدُ تعرفني ولا الحبُّ
فعلامَ هذا الخفقُ يا قلبُ
أوَ كلّما أبصرتَ فاتنةً
وسباكَ في غُنجِ الهوى هدبُ
أرخى الحياءُ عليكَ دمعته
وطوى جموحَ صبابةٍ عتْبُ

هامش (•) هذا البيت من قصيدة للشاعر الراحل مسعود جوني

زَمَنٌ

مَضى ..

• محمد محمود قشمر

أُحبُّ جَمَالَكِ المُتَبَتِّلَ
مِن فَيضِ قَلبِي
وَدَمُ أَحلامِي
يَشدُو
أَسرارَ الهَوَى
مَن قَالَ يَشفيه الوَجدُ
مَن جَمرِ الفُتُونْ
مَا زِلتُ أُفشِي لِلَّيلِ
خَائِنَةَ الغوَى
سَتُنهِي هَزَائِمِي
قِيَمُ الشُّمُوسْ
وَتَزرَعُ الأَحلامُ
خَافِقَةَ السُّرَى
وَعَلَى ابتِسَامِ المَدَى
تَندَمِلُ الشُّرُوخْ
وَيُسرِجُ الآمَالَ
فَجرُ العُلا
فَيَهطِلُ وَيَهطِلُ
مَطَرُ الشمُّوخْ
وَيُجَرِّفُ لِلقَاعِ
زَمَنٌ مَضَى

عَـرُوسُ المَـدَائِن

• عَلاء الدِّين حسَن

إِلَيْهَا بِحُبٍّ تُشَدُّ الرِّحَالْ
وَلِلْقُدْسِ شَوْقٌ أَبَدْ لاْ يُزَالْ
وَلِلْقُدْسِ نُورٌ بَهِيٌّ مُضِيء
فَنِعْمَ المَزَايَا ، وَنِعْمَ الجَمَالْ

عَلَيْهَاْ سَلامٌ مِنَ الأَوْفِيَاءْ
وَمِنْهَاْ سَلامٌ وَمِنْهَاْ الوَفَاءْ
فَفِي القُدْسِ رَوْحٌ وَرَوْضٌ وَحُسْن
وَفِيهَاْ مَسَارٌ لِعَالِي السَّمَاءْ

سَيَبْقَى رُبَاهَاْ بِعُمْقِ الوِدَادْ
عَرُوْسَ البِلادْ . . عَرُوْسَ المَعَادْ
فَفِرُّوا إِلَيْهَاْ لِنَبْعِ الحَنَانْ
لأَرْضِ العَطَايَاْ وَسَاحِ الجِهَادْ

وَلاْ بُدَّ يَوْمَاً مِنَ الانْتِصَارْ
وَدَحْرِ الأَعَادِي وَدَحْرِ الشِّرَارْ
فَبِالحَقِّ حَقّاً سَنُعْلِي الجِبَاهْ
وَنَبْنِي بِلادَاً وَنَبْنِي الدِّيَارْ

منافي العمر

• خالد عارف حاج عثمان

يضيع وجهي...
في انكسار المرايا. .
تختفي ملامحي. .
كيف ألم تقاسيمه. .؟
أضحت شظايا محطمة...
هاربة دروبي أمامي. .
أتبعها كمانهر
من النبع إلى البحر. .
أسابقها. .
فتسبقني...
ياللخطا. .
تقصر. .
ترتدي قماط عجزها. .
تتهالك منكسرة على مقعد الإعاقة
..
أبحث عن فراشات أحلامي. .
في ضحكات الطفولة. .
تلاعب أجفانها أراجيح العيد. .
تنسرب في متاهات الحياة. .
غمامي الصيفي
يلبس الليل في وضح النهار. ..
معتمة عباءتي. .
تعلن مأتمي الحاضر. .
يرحل إلى المدى. .
يعانق وجع الغروب. .
يشرد مع نوارس المساء. .
تهاجر نحو المنافي. ..
آه. .
منافي العمر. .
كيف أحطم جدرانك السميكة. .
تعبت الأيام. .مني. .
تعبت منها. .
أنهكتها زفرات الألم. ..
على قارعة الرثاء
ندبت قصيدي. .
شرعت غربتي. .
تأبت على غيث الشوق. ..
وأنهار الحنين. .
ياكل أسراب القبرات. .
شردت. .
لجأت إلى الحقول البعيدة. .
نوحي علي. .
قطعي الأثير بشجوك. .
عساه يصل مسمعي. .
ألاحق حزنك. .
يهرب إلي. .
أتبعه. .
ضوء خافت في آخر العتمة. .
يسعى نحوي. .
أعدو إليه. .
تطلق الشمس وجهها. .
ترف العصافير. .
تهجر أعشاش نومها. ..
تجيء ...
تدلف عمق روحي. .
ويبدأ النهار. .

حلمُ الياسمين ولما عبد الله كربجها

•د. ياسين فاعور

((حلمُ الياسمين)) مجموعةٌ قصصيةٌ للأديبة والقاصة لما عبد الله كربجها، صدرتْ عن دار أبي الفداء العالميّة في طبعتها الأولى عام 2010، تقعُ في مئة وثلاثين صفحة، وتضمُ تسعَ عشرة قصَّةً قصيرةً متفاوتةً في عدد صفحاتها، أطولُها القصص: ((شَيءٌ ما يحترق – عندما يتوبُ الحب – سنواتٌ مع الآلة – رسالةٌ إلى الله – المكتب))، وجاءت كلُ قصَّة في ستِّ صفحات، وأقصرها القصَص: ((في غرفة العناية المشدَّدة – المدرّس الأوّل – مجلةُ الملاهي – قدرٌ لم تجده – الأغنية – حُلمٌ وقبور)). حصلت القصة الأولى ((شيء ما يحترق)) على المركز الأول ضمن مسابقات اتحاد الكتاب العرب في حماه لعام 2009، وحصلت قصة ((الدرس الأول)) على المركز الأوّل على مستوى الجمهوريّة العربيّة السوريّة لعام 2003 ضمن مسابقة شباب سوريّة، وحصلت قصَّة ((عندما يتوبُ الحب)) على المركز الأوّل على مستوى الجمهوريّة العربيّة السوريّة لعام 2005 ضمن مسابقات شباب سوريّة. أهديت المجموعة ((حلم الياسمين))، إلى من خلقَ روحَ الكتابة في داخلي، إلى من بقي حلماً أبيض في قصصي، إلى أبي.

طبعت على غلاف مجموعتها الأول لوحةً فنيَّةً زيَّنتها بأزهار الياسمين، وأعادت اللوحةُ مُصغرةً على غلاف مجموعتها الثاني، وزيَّنتها أيضاً بأزهار الياسمين، وطبعت على غلاف مجموعتها الثاني الفقرة ((عندما تكلمني عن الرجولة والكبرياء والوطن، كنتُ أحلمُ برجلٍ مثلك، كنت مُدهشاً بحق رجلاً بحق)).

عناوين جذابة، وموضوعاتٌ مُتعدِّدةٌ جميلة، استلهمتها من تجاربها في الحياة، ومن مجتمعها، وصاغتها بلغة معبِّرة، ووصف دقيق، بدأت مجموعتها بقصَّة عنونتْها بعنوان جذاب ((شيء ما يحترق)) سردتْ فيها قصة مُذهلة، قصَّة الحياة الزوجية، معاناة الزوجة مع زوج لا يقدّر مسؤوليته وواجباته ((يومها اقتربتُ منك، أريد أن أحتضنك، كنت بحاجة لأرتمي فوق صدرك، دفعتني بكلتا يديك... صرخت في وجهي لا تكوني ضعيفة، ورحلتَ أنتَ إلى بغداد وأنا إلى أعماقي المختلفة أبكي وحيدةً دموعاً جافة)) (ص:11).

وعاد إليها، وقد ساءت حالته وختمت قصتها مخاطبة: ((على مقعدك لا تتحرك بذُلّك ووضاعتك، إبرُ ومخارزُ نظراتي تنغرسُ في عينيك الغائرتين ووجهك المترهل، دفعةً واحدة دونما أيُ اهتمام أشيحها عنك، لم تعدْ ذا معنى، تتمايل ببطء وبلادة، تحمل معطفك وتمشي بعيداً)) (ص:13).

وفي قصتها الثانية ((في غرفة العناية المشدَّدة)) تروي قصة متدرِّبة في مشفى تواجه حالة مأساوية، فتاة تعرَّضت لحالة مأساوية، انتحارٌ بمبيد حشري لتمنحها حقنةً مسكّنة ((على سرير حديدي ارتمت فتاةٌ في مقتبل العمر ربطت أطرافها بشاش أبيض وهي تختلج بشدَّة، كان كلُ شيء فيها غريباً مخيفاً)) (ص:17).

في هذه اللحظة تذكرت قصةَ زميل لها كان يغنّي أثناء تكفينه لأحد مرضاه الموتى قالَ لها: ((أشعر بشيء رهيب في داخلي إنْ بقي سوف يخنقني لكن عندماً أغنيَ أرتاح نوعا ما)) (ص:18).

حاولت أن تغني فلم تجد لذلك سبيلا، كان شعورها بالاختناق يزداد ((وأيد غليظة تضغط على عنقها بعنف لتمنع ذلك الشيءَ من الخروج)) (ص:18).

اقتربَت منها لإسعافها، ضاقت عليها الأمور ((اقتربت منها أكثر، احتضنتها، بكت، تمنّت أن تبقى معها مدَّة أطول، ولكنَّها لم تصدُق متى خرجت)) (ص:18). وسارعت للخروج من المشفى بعد أن أنهت دوامها في العناية المشددة.

فرحتْ بعد أن تمّ تخريجها من المشفى، وتساءلتْ في نفسها ((تُرى هل ستعاود الانتحار بعد الذي ذاقته من آلام؟!... وهل ستنتابني نفس المشاعر أمْ أنَّه وقع للمرَّة الأولى؟!...)) (ص:19).

وفي قصتها الثالثة ((خيول عصرهم)) تروي مأساة السجناء وعذاباتهم، يرويها جلّادُ عاناها وذاق مراراتها، ومارس دور جلاديها ((الآن أجلس أمامه، حجارةُ روحه النظيفة ترمي أقنعة وجهي الفاسدة، تجعل الأرض تميل تحتي، تتكسَّر بجليدها المقزِّز، أحضر كوباً من الماء، أمسح وجهه، أسقيه، ينظر إليَّ باستغراب، أساعده على الهروب من قرف واقع عقيم، يركض بسرعة، أجلسُ مكانه على مقعدَ التعذيب، أهمسُ: اشتقتُ إليك يا لك... هيا انهض... يتحامل على نفسه، عندما يكتشف قدرته على الوقوف والمشي، يفتح عينيه، يتلاشى كلُ شيء، ويجد نفسه جالساً على مقعده، مرتبطاً بقدميه الجامدتين، لكنَّ اللمعان مازال موجوداً، يحرِّك عجلات مقعده باتجاهه، يدهشه ما يرى قطعة نادرة من الذهب الخالص عالقة بين مجموعة من المعادن الصدئة والمغرقة بالقذارة بصعوبة بالغة استطاع الوصول إليها بعد أن سالت الدماء مَن أصابعه، بفرح طفولي حملها بين يديه، تأمّلها، ثم أدار ظهره مبتسماً وهو يغادر المكان)) (ص:82-83).

وفي قصتها الثالثة عشرة ((الفتحة)) صرخة ألم، ومعاناة امرأة مطلّقة خانها الحظ، وقست عليها الأيام، وضاقتْ عليها الحياة ((أقترب منها، أريدها أن تتشرَّبني، أحقّق إحساساً لم أفلح في التخلص منه، أحاول أن أمرِّر جسدي عبرها، دون فائدة، أتراجع للوراء مبتسمة، كمن خلع ثوباً متسخاً للتو عن جسده، أهمس أثناء صعودي:

مسكينةٌ أيتها الأرواح ستبقين حائرة.

وفي قصتها الرابعة عشرة ((طفل معافى)) آمالٌ وأحلام، ومعاناة إرث وقسوة حياة، موضوعُ قاس ومعاناة مرَّة تعيشها امرأة تحلم بطفل معافى، تَندب حظَها ((أبنائي... أبنائي... طفل معافى... واحد فقط...)) (ص:96).

وفي قصتها الخامسة عشرة ((سنواتٌ مع الآلة)) تصويرٌ لمعاناة امرأة عانت ما عانت في انشغالها في الخياطة، تندبُ حظَها ((مللتك بقدر رفضك لي، احتضنتك في فرحي وحزني، كنتُ دائماً أجدك بجانبي والجميع يديرون ظهورهم لي، يُغلقون الأبواب، يُصرُّون أن أبقى حبيسة في مغاور أعماقي الموحلة بصورهم الكثيرة والمتزايدة، لكنّني اليوم سيِّدة الشتاء، روحك التي تملك حاجاتهم ومصالحهم، أختهم وصديقتهم وجارتهم المقرَّبة)) (ص:102).

وفي قصتها السادسة عشرة ((رسالةٌ إلى الله)) (تسبيح الكارات) كما يقولون، عاث فساداً، ((كنت بسيطاً، أردت أن أكون شيئاً، أبني نفسي وأسرتي كغيري، حاول الجميع كسري ومنعي من التقدّم نحو الأمام، دفعوني رغماً عنّي كي أدوس فوق رؤوسهم، كي أمتصَّ دماءهم القذرة محافظاً على بقائي، كنت لا أريد أن أكون ملاكاً في زمن كثرت فيه الشياطين، في زمن تركت الملائكة الأرض ورحلت إلى السماء، أنت تعرف أنّي أحبُّك ولا أخاف سواك ولكن هم من دفعوني إلى ذلك إلهي أرجوك سامحني...

ثم طوى ورقة الرسالة ووضعها في ظرف أبيض بعد أن قرَّر إعطاءها لصديقه كي يأخذها معه إلى الأماكن المقدسة وأغمض عينيه مسترخياً على كرسيِّه الهزاز ولم يفتحها بعد ذلك)) (ص:111).

وفي قصتها السابعة عشرة ((حلم كلّ ليلة)) آمالٌ كبيرةٌ خدعه بها، ووعودٌ كثيرةٌ وعدها بها، واستغلّ أنوثتها وتاجر بها، تمرَّدت وانتقمت ((بعد قليل سوف تصل، حلمي اليومي عاد يتراءى أمام عيني، سأقتلك، سأشرب من دمك، سأجتثُّ قلبك من بين أضلاعك وأمضغه نيئاً وأبصقه لزناخته، سأقدّم عظامك لكلبي الذي ما زال يرفضها، وسأدخل الحمام لأستحمَّ بما تبقّى من دمك، بعد قليل ستصل ومعك زبائنُ يدفعون كثيراً)) (ص:118).

وفي قصتها الثامنة عشرة ((انتحار من نوع آخر)) تحليلٌ للحياة المعاشة، ونقدٌ للسلوك الإنساني والعلاقات الانسانيَّة والعاطفيَّة علَّها تكون عبرة لمعتبر وإصلاحاً لواقع معاش ((عند هذا الحد أنهت قريبتي كلامها وأغلقت سماعةَ الهاتف، معركتها هدأت وبدأت معركتي، رفضٌ وقرف لم أشعر بالدهشة أو الاستغراب، ففي صباح هذا اليوم مسحتُ أسماءَ كثيرة من دفتر ذاكرتي، رويتُ أشجاراً ضخمةً من ماء روحي دون أن أغدو حرباءَ مُتلوِّنة)) (ص:124).

وفي قصتها التاسعة عشرة ((حلم وقبور)) أنَّاتُ حزن، وشهادةُ أب، وحزنُ أسرة، واعتزاز بشهادة أب فداء للوطن ((سأقتلهم يا أبي... سأثأر لك يا أخي... ستعودين إلى الحياة يا أمي. أخي الصغير ما زال يدور حول القبر شمساً تنشر نوراً وناراً، بحنان الحياة وألمها اقتربتُ منه، قبَّلته قبلات عديدة، احتضنني بشدَّة، تذكرتْ حنان أبي وصلابته، أمسكتُ يده وعدنا معاً إلى المنزل)) (ص:129).

موضوعات متعدِّدة تعالجها القاصة في مجموعتها، وتصوغ قصصها بدقة الوصف وسبر الأغوار، للمرأة دور مميَّز في قصصها، تحلل الأحداث وتنقدها، وتختار لها عناوين مميَّزة وجذّابة.

وإن كان من كلمة تُقال في نهاية هذه الدراسة فإنّنا نقول: هنيئاً للقاصة هذا الإبداع الجميل، وإلى مزيد من القص والإبداع.

الأدب الساخر.. فصاحة المقهورين والفن الصعب...

•غادة اليوسف

يقول أرسطو:

يجب دك رصانة الخصم بالضحك، وجعل الضحك منافساً للجد. فالإستعداد للضحك قوّة إيجابية، يمكن أن تكون لها قيمة معرفية لما فيها من أحجيات فطنة، واستعارات غير متوقّعة، ممّا يجعلنا ننظر إلى مفارقات الحياة على نحو أحسن، ونصل إلى الحقيقة بيسر، من خلال تصوير البشر والعالم بكيفية غير التي عوّدتنا عليها الملاحم والبطولات والمآسي، وحياة القديسين. حيث يرتفع الضحك إلى مستوى الفن، وقد يصبح موضوعاً فلسفياً، حين يتحوّل إلى فكر، فيغدو طاقة تحرّر من الخوف، وحين نتحرّر من الخوف، تنخلع أفئدة الطغاة الوقورين، خوفاً، من اندلاع الشرارة الشيطانية، التي يمكنها أن تضرم في العالم أجمع حريقاً جديداً. نعم إنه الضحك الذي ارتبط – وللأسف-في ثقافتنا وسلوكنا بالهزل، والاستهتار. بالرغم من أنّ الإنسان صُنِّف - تمييزاً له عن باقي المخلوقات، بأنّه هو الحيوان الوحيد الضاحك، لأنّه أعمق المخلوقات ألماً. وقد قيل أنّ الضحك فضيلة اختصّ بها البشر، لتُعزّيهم عمّا لديهم من ذكاء، وقدرة عقليّة. بل وثمّة اعتقاد لدى قدماء المصريين، بأنّ الإله، ضحك ضحكته السابعة – ولا يخفى ما للرقم سبعة من دلالة غيبية، وما يُحمّل أسطورياً من قبل الحضارات القديمة- فبعد أن ضحك الإله ضحكته السابعة، اكتملت مع تلك الضحكة روح الوجود.

فلماذا نضحك؟ ومت نضحك؟ وكيف نضحك؟ وهل الضحك فطرة أم إكتساب؟ وهل هو رضىً واقتناع، أم انتقاد ورفض؟

هل نضحك من السرور أم من الألم؟ وهل نضحك لأننا لطفاء وأبرياء؟ أم لأننا خبثاء ولئيمون؟ ولماذا يضحك البعض كثيراً والبعض الآخر لا يضحك؟ ومتى، وكيف يكون الأمر مُضحكاً؟ وهل هناك قاعدة، أو وصفة لصنع ما هو مضحك؟؟؟

ثُمَ، ما هي استثمارات الضحك؟... وما هي حال الضحك في الإنتاج الأدبي والفنّي؟

للإجابة على أسئلة بهذا البعد، أراني متورّطةً في بحث فلسفي، وسايكولوجي قد يستغرق ماهو أوسع وأعمق من كتابة مختصرة عن الأدب الساخر، الذي يجعل الضحك فنّاً، وفكراً، قادراً على أن يتحرّى الباطن، المختفي وراء كلّ ظاهر، وأن يكتب الألم؟

إنّ الأدب الساخر فنّ لا يتأتّى إلاّ إلى قلّة من الموهوبين، القادرين على إيقاع المتلقّي في حمأة المفارقة، بين الواقع والمُتوقّع، فتعرف عندئذ الأشياء بالأضداد، وهو، لعمري، أمر في غاية من الصعوبة لمن أراد أن يتقحّم هذا المجال، بلا إسفاف، ولا تهريج أو ابتذال، ولنا في الجاحظ، وبديع الزمان الهمذاني، وما تحدّر من سيرة نصر الملاّ نصر الدين (جُحا)، وكذلك ،جورج برنارد شو، وموليير، أسوة. فهؤلاء، سخروا بأدبهم سخرية هادفة، جادّة، بقصد توضيح الصورة، وجلاء الحقيقة.

بعيداً عن التجهّم، والتشنّج، والتعالم، يمضي بنا الأدب الساخر مُسلّطاً الضوء على الهموم الحياتية: السياسية ، والثقافية ، والتربوية، والاقتصادية ، الاجتماعية ، وغيرها من القضايا التي تشغلنا بل وتقضّ مضاجعنا ، في قراءة، ضاحكة، وماتعة، لواقع مأزوم ! فكم هي المفارقة؟

وللأديب الساخر لغة، لها جدلها الذاتي، فيها من العذوبة، والدلالة، ما يجعلها تؤدّي وظيفتها التواصلية والجمالية على أكمل وجه، عبر علاقة العام بالخاص، أي علاقة اللغة – الأدب- بالمجتمع الإنساني. وذلك، بأسلوب ساخر، يحيل المتلقي إلى خانة المُحرَّض، فتلتمع في عينيه الدمعة، في اللحظة التي تتفلّت منه ابتسامة، وربّما ضحكة، تصل إلى القهقهة الموجوعة أحياناً، وذلك لذكاء التقاط المفارقات، على مساحة من واقع مأزوم.

إنه الضحك الإنتقادي، أو الناقد، الذي يُشكل الوجه الإيجابي منه، وهو وسيلة اجتماعية، فنية، تهدف إلى كشف الفرق، و(ملاحظة) الواقع، وإظهاره (كاريكاتيريا)، ثمّ وضعه موضع الإضحاك (سخرية)، وذلك، بعفوية وبراءة، بخبث، وسخرية، وألم، وتلميحات ذكية، ومكر لماح، فيُدخلنا ببراءة طفل مُشاكس، إلى همومنا الصغيرة والكبيرة، المُصنّفة في خانة الهموم التي تهدّد وجودنا من قبل الطغيان العالمي.

تتمحور موضوعات السخرية حول الحريات، بكلّ مسمياتها، والفساد الوظيفي، والإداري، والتخلّف، باختصار: كل ما يعيث في جسد الوطن، وروح المواطنة، من زاويتَي: الحق والاستحقاق.

الأدب الساخر فنّ مُحاتل، في صورة عابثة، يهدف لتنقية الحياة من عبث العابثين، حيث يتألّق هنا الأدب الساخر أدباً ملتزماً بقضايا الإنسان كافة، كنهج مضن لتطوير الحياة في بلدنا، وفضح كلّ ما يهدّدنا، داخلياً، وخارجياً.

بمثل هذا النوع من الكتابة يغدو الضحك فصاحة المقهورين، في أزمنة وأمكنة القهر، بل هو احتجاج على، ورفض لواقع مأزوم، ملتبس، غير محترم، يجب تغييره.

بمثل هذا النوع من الكتابة الساخرة يرتفع الضحك، ويرقى إلى مكانة سلاح ذكي، إذ يستعيض عن خطابة الإقناع بخطابة السخرية، وعن الحجّة المتأنية، المنتبجة، بالحجّة التي تقلب التابوات، عندئذ، سيكون أوّل المهزومين هم الطغاة، والانتهازيين، والأغبياء، والمنافقين، من خلال تصوير العيب، والنقص، والضعف، بحيث يظهر لنا بالمفارقات، كيف أن الأغبياء يحرسون الفكر، والفسّاق يقيمون في دور العبادة.

فتتبع السخرية من الألم، بعد تأمّل وإشفاق يشتعل في صدر الكاتب الساخر ليقول الحق جليّاً، ولو على نفسه.

حولَ كتاب "مُشكلات الأدب الطِّفليّ"

تأليف: سيسيليا ميرايلز - ترجمة: مها عرنوق

•قحطان بيرقدار

مقدمة:

بعدَ قراءتي كتابَ «مشكلات الأدب الطفلي» لمؤلفته الأديبة والشاعرة البرازيلية سيسيليا ميرايلز، الذي ترجمتْهُ إلى العربية مشكورةً الأديبة والمُربّية مها عرنوق، والصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب عام 2018، والذي يقع في 143 صفحة من القطع الكبير، أحبُّ أن أشيرَ إلى ذلك التشابُه الجميل بين شخصية المؤلفة وشخصية المترجمة. نعم، فَلدى معايشتي في السنواتِ الأخيرة للأستاذة مها عرنوق بوصفها عضواً في هيئة تحرير مجلة أسامة، ولدى اطّلاعي المستمرّ على آرائها في الأعمال المقدَّمة للنَّشر في المجلة، ونقاشاتنا المُستمرّة حولَها، وحول قضايا كثيرة تتصلُ بالطفولة وبالأدب المُوجَّه إليها، لاحظتُ لديها سِمةً جميلةً، ألا وهي النظرُ إلى عالم الطفولة وإلى الأدب المُقدَّم لها نظرةً شعرية، نعم، وهذا أمرٌ مُهمٌّ جداً، فالنظرةُ الشعريةُ هُنا تنبعُ منها قيمٌ كثيرةٌ ينبغي أن تتوافرَ في كلِّ من يتوجّهُ بعمله إلى الطفل، كالإحساس العالي بالجمال، والإخلاص والأمانة والإتقان في العمل، والاحترام العالي للطفل بوصفه إنساناً لا يقلُّ قيمةً ولا حساسيةً عن أيِّ إنسان من عالم الكبار، ومراعاة القيم التربوية والأخلاقية وعدم هدرها، والحساسية العالية تجاه كلِّ ما يُقدَّم للطفل، بل تجاهَ كلِّ مفردة أو كلمة مُوجَّهة إليه خشيةَ الوقوع فيما يُسيءُ إلى الرسالة المُؤدّاة إليه، وأخيراً وليس آخراً الحبّ الكبير للأطفال وعالمهم، واعتبارهم أطفالاً لنا، وأنّنا مسؤولون عنهم على نحو أو آخر. وهذه السمة الشاملة تلمّستُها أيضاً عبرَ الإحساس والحَدس في شخصية المؤلفة البرازيلية وأنا أتصفّحُ كتابَها المهمَّ هذا.

الكتابُ في سُطور:

على الرغم من صغرِ حجم الكتاب إلّا أنه واسعٌ في مضمونه جداً، إذ استطاعت الكاتبةُ بأسلوبها المُكثف والمُتقن استعراضَ كثيرٍ من القضايا المهمة التي تتعلّق بالأدب الطفليّ، بدءاً بمشكلات الأدب الطفليّ ومواصفات الكتاب الذي يُفضّلُه الطفل، مروراً بمظاهر الأدب الطفلي والتمييز بين الكتاب الطفليّ وغير الطفلي، وكيف نعدُّ كتاباً طفلياً، وانتهاءً بأزمات الأدب الطفلي. وجاء هذا الاستعراض عبر إلماحات مُكثّفة ذات مغزى، وعبر طرح أسئلة مهمة في بابها، وعبرَ لَفْت النظر السريع والهادف إلى قضايا مهمة جداً، وعبر شدّ الانتباه وإثارة الفضول وتحفيز الذهن والوجدان، كلّ ذلك في دعوة كبيرة ينهضُ بها هذا الكتاب، تتلخّصُ في ضرورة إعادة النّظر في واقع أدب الطفل الراهن وحَصْر المشكلات القائمة، والبحث عن حلول لها عبر ربط الماضي بالحاضر والمواءمة بينهما في سبيل الوصول إلى واقع أفضل.

لقد طُبعَ الكتابُ لأول مرّة بلغته الأصليّة في عام 1951، والمثيرُ في الأمرِ أنّ الكاتبة في بعض مفاصل الكتاب تطرّقتْ إلى واقع أدب الطفل في زمنها، فتحدّثتْ عن ضياع كثيرٍ من المُثل، وعن اختلاف القيم بين الماضي والحاضر، وعن اختلاف شخصية البطل المثالي، فالبطلُ اليوم ربما هو قاطعُ الطريق الذي يحمل المسدّسات... إلى آخر ما هنالك من صور سلبية، وهي مُحقّة فيما ذهبت إليه، وكلّ ما طرحته يُمثّلُ زمنَ الكاتبة أي ربما أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن الماضي، فكيف ستكون الصورة إذاً في عالم اليوم، ونحن في عام 2020؟ بالتأكيد ازدادَ الانحدار، وكثُرت الأمراض، وتعدّدت المشكلات، وإنّ التطرُّقَ إلى ثقافة الطفل عموماً، وإلى الأدب المُوجّه إليه خصوصاً هو أمرٌ ذو شُجون وغُصَص ودُموع، ما في ذلك من ريب. والمقامُ الآن لا يسمح بأن أستفيضَ في الحديث عن شكل الجرح ولونه، وما يخرجُ منه، وأصداءِ الآلام التي يبعثُها.

مشكلاتُ الأدب الطفليّ:

فيما يتعلق بمشكلات الأدب الطفليّ كما وردت في الكتاب فإن الكاتبة أشارت أولاً إلى العلاقة بين الأدب العام والأدب الطفلي، فقد جزمت في أكثر من موضع بأنّ ثمّة كتباً كتبَها مُؤلّفُوها للكبار، لكنّها صَلُحَتْ للأطفال وحَسُنَ تلقّيها لديهم، وكتباً كُتبَتْ خصّيصاً للأطفال، لكنّها لم تلقَ استحساناً منهم، إنما تلقّفها الكبارُ وصَلُحَتْ لديهم، أو لم تصلُحْ لدى كلٍّ من الكبار والأطفال. وتطرّقتْ ثانياً وأسهبت في مواضع كثيرة من الكتاب إلى العلاقة بين الأدب الشفوي والأدب المكتوب، فشطرٌ كبيرٌ من التراث الأدبي الطفلي وصلَ إلينا عبر القصص والأساطير والقصائد والحزازير والمسرحيات التي كانت تنتقل شفوياً من جيل إلى جيل قبل أن يُصارَ إلى تدوين شطرٍ منها كتابةً في العصور الحديثة. من هنا يبرزُ سؤالٌ مهمٌّ: هل أدبُ الأطفال جزءٌ من الأدب العام؟ ثم هل يوجدُ أدبٌ طفليّ؟ وكيف نتعرّفُ خصائصَه؟

ترى الكاتبةُ أنّ الواضحَ أنّهُ أدبٌ عامٌّ كلُّه، لكنّ الصُّعوبةَ تكمنُ في تحديد ما يُعدُّ بيئةً طفليّةً، فالأطفالُ في الحقيقة هم الذين يُحدّدونَ الأدبَ المُفضّلَ لديهم، ومن ثم فإن التصنيف يكون على أساس ما يقرؤه الأطفال بفائدة وسرور، فلا وجود لأدب طفليٍّ سابق، بل هو لاحق، بعد أن يحكمَ عليه الطفل نفسُهُ بأنه أدبٌ طفليّ. كذلك من المشكلات أيضاً كتبُ الأطفال التي لا تملكُ صفاتٍ أدبيّةً، إذ من الصعب أن نصنّفَها ضمن إطار الأدب العام.

الكتابُ الطفليّ:

الكتابُ الطفليُّ، كما ترى الكاتبةُ، حديثٌ نسبياً، وضمنَ هذا الإطار تنضوي كثيرٌ من الكتب، ككتب تعليم القراءة واللغة، وكتب المواد المدرسية، وكتب التسلية، والكتب الموجهة إلى الأطفال الصغار التي تحتوي رسوماً فقط. وحولَ هذه الكتب التعليمية ترى الكاتبةُ أنه قد يأتي يومٌ يستطيعُ فيه كاتبٌ ما أن يُقدّمَ كُتباً تعليميّةً بأساليبَ فنيّة تخلقُ عوالمَ من السعادة الرُّوحيّة ما يُؤهّلُ هذه الكتبَ التعليمية أن تكونَ أمثلةً قيّمةً للأدب الطفلي. وهذا طموحٌ جميلٌ جداً، خصوصاً إذا تأمّلْنا واقعَ المناهج التعليمية الموجهة إلى التلاميذ في وطننا، وما تُثيرُهُ من شُجون.

ما الذي يُميّزُ كُتبَ الأطفال؟ تجيبُ الكاتبةُ عن هذا السؤال، فتقولُ إنّ الأسلوبَ بدايةً هو أولُ ما يُميّزُها، ومن ثمّ فهي كتبٌ بسيطةٌ سهلةٌ كعالم الأطفال تماماً، كذلك فإن الأسلوبَ المناسبَ يحتاجُ إلى مضمون هادف أيضاً، وبناءً على ذلك فإن كُتبَ الأطفال هي الكتب التي يصنعُها الكبارُ وفق رُؤيتهم، ويَضعُونَها بين أيدي الأطفال اعتقاداً منهم بأنّها مناسبة لهم. وفي هذا السياق تطرحُ الكاتبةُ فكرةً مهمةً جداً، وهي وجوبُ معرفة ماذا يوجد في الكبار من طفولة حتى يستطيعوا التواصُل مع عالم الطفولة، وماذا يوجد في الطّفل ممّا عند الكبير حتى يتقبّلَ ما يُقدّمُهُ إليه الكبارُ، ومن ثم فإنّ الحكمَ على كتاب طفليٍّ ما، لا يكفي أن يكون مرجعُهُ آراءَ الكبار فقط، بل الأصحّ أنْ نعرضَ الكتابَ على الطفل الذي هو الفئةُ المُستهدَفة، وهو الذي يُصدرُ الحُكمَ النّهائيَّ: يُعجبُهُ أو لا يعجبه.

الكتابُ الّذي يُفضّلُهُ الطّفل:

أمّا ما يتعلّقُ بالكتاب الذي يُفضّلُهُ الطّفلُ كما ترى الكاتبة، فليسَ بالضرورة إذا تناولَ الطفلُ كتاباً ما، وراحَ يتصفّحُهُ أنّهُ مُعجَبٌ به، فهناك آلافُ الخدع في هذا المجال، لعلّ من أهمّها الرسوم والألوان وطريقة الإخراج ونوع الورق ونوع الغلاف وطريقة عرض الكتاب... وفي هذا دعوةٌ إلى إعادة النظر في طريقة توظيف الرسوم في كتب الأطفال ومجلاتهم، وإلى دراسة الغاية من وراء هذه الرسوم، ودراسة طبيعة هذه الرسوم ومدى تأثيرها في ذات الطفل.

ومن ناحية أخرى، ترى الكاتبةُ أنّ كتاباً بسيطاً خالياً من مبالغات الصّور والرسوم، مهملاً ومُلقىً على رفّ مكتبة يُمكنُ أن يقعَ بيد الطفل، وإذ به ينجذبُ إليه، وينصرفُ إلى قراءته ناسياً كلَّ ما حوله. إنّ الكتابَ الذي يُفضّلُهُ الطّفلُ هو ذلك الكتابُ الذي يُؤثّرُ فيه أبلغَ تأثير، فيحيا معَهُ في كلِّ مراحل عمره، مستحضراً تفاصيلَهُ من مشاهدَ وشخصيّات وقِيم. من هنا يظهرُ مفهومُ الأدب الطفلي على نحو أكثر وضوحاً، فهو ليسَ تسليةً بل غذاء، ويتجلّى في كلِّ ما أُلّفَ للأطفال من كُتب خالدة تعاقبتْ من قرن إلى قرن، ومن وطن إلى وطن، ومن مجتمع إلى مجتمع، واكتشفَها الأطفال، فأحبُّوها، وفضّلوها، وتآلفُوا معها بكلِّ تفاصيلها.

وفي هذا السياق، تَصحبُنا الكاتبةُ في مواضع عدّة من الكتاب في رحلة إلى الكتب الطفلية العظيمة التي أُلّفَتْ في القرون الثلاثةَ الأخيرة في أوروبا وفي غيرِ مكان من العالم، وتُقدّمُ رُؤىً عدّةً حولها وحولَ مُؤلّفيها، فتذكرُ مثلاً «مغامرات البارون دي مينشهاوزن»، و«روبنسون كروزو»، و«أليس في بلاد العجائب» الذي تستفيضُ في الحديث عنه، وغيرها كثير... والأجملُ من ذلك أنها تسوقُ لنا أسماءَ أعلام كبار، وتُحدّثنا عن الكُتب التي كانوا يقرؤونها لمّا كانوا أطفالاً، فمثلاً «غوته» الصغير كان يتسلّى بمجموعات قصصية خرافية وأسطورية وبكتاب «مسوخ أفيديو»، و«مغامرات تلماكو»، أمّا «لينكولن» الصغير فكان يقرأ باهتمام حياة «واشنطن»، و«أوغسطين ثياري»، في حين كانت «مدام رولان» تقرأ «بلوتاركو» و«روسو»، إلى آخر ما هنالك من أمثلة، قصدت الكاتبةُ من ورائها مقاصدَ عدّة في سبيل تحديد ماهية الكتاب الطفلي.

كلمةٌ أخيرةٌ:

أعودُ فأقول إنّ هذا الكتابَ على الرَّغم من صغر حجمه إلّا أنّهُ يُقدّمُ مجموعةً من المُحرّضات والحوافز والدوافع إلى مزيد من البحث والتقصّي في مجال الأدب الطفلي ومشكلاته وتاريخه، إلى مزيد من تسليط الضوء عبرَ الدَّرْس النقديّ القويم على عالم كتّاب الأطفال قديماً وحديثاً، وما أحوجَنا في زمننا هذا أن نشحذَ الهمَمَ في هذا المجال، فإنّ فوضى النشر للأطفالَ بلغتْ ذروتها، واختلط الحابلُ بالنابل، وكثُر الدّخلاء والمُدّعون، وكثُر أصحابُ النوايا السيّئة، وكثُر التّجّار والمُستأجَرون لغاية تشويه صورة الطفولة وإفراغها من مضمونها في مجتمعات كمجتمعاتنا على سبيل المثال... ما أحوجَنا إلى نتحرّك بقوّة في وجه هذا السَّيل العارم الذي يحملُ معَهُ الضّياعَ والدّمارَ لجيل الطفولة الذي هو أغلى ما لدينا.

القدس المدينة الساحرة والحصاد المر

•عوض الأحمد

جاء قرار ترامب في نقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس وخطة صفقة القرن بخصوص جعل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل وضم المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وضم غور الأردن أيضاً إلى الكيان الصهيوني المحتل بمثابة الضربة القاضية على فرص السلام من قبل ترامب وإدارته وتجريد الشعب الفلسطيني من كل حقوقه، هذه الصفقة هي بمثابة إعادة رسم خارطة طريق لإبادة الفلسطينيين، كما أن صفقة القرن علامة واضحة على فشل الولايات المتحدة في رعاية السلام وانحياز ترامب التام لمطالب الكيان الإسرائيلي المغتصب ما يفرض البحث عن فاعل سياسي واستراتيجي جديد وأكثر حيادية.

جاءت خطة صفقة القرن في زمن التمزق العربي والتآمر العربي ضد الدول العربية التي ترفض سياسة وهيمنة الولايات المتحدة على قرارها السياسي وثرواتها. هذه الصفقة جاءت بتآمر إسرائيلي ورجعي وأمريكي لتصفية القضية الفلسطينية، كما زادت في مأساة ومعاناة الشعب الفلسطيني المحاصر من قبل المحتل الإسرائيلي ووضعت القيادة الفلسطينية أمام جدار صلب وأمام خيارات مصيرية وامتحان قاس والكيان الإسرائيلي الذي اعتمد على قضم الأراضي والقرى الفلسطينية على مراحل منذ قيام دولة إسرائيل قادر على تنفيذ ما تتضمنه صفقة القرن ووضع الشعب الفلسطيني تحت الأمر الواقع وذلك لعدم اتخاذ قرار عربي حاسم يرفض صفقة القرن ويطالب بالحقوق الفلسطينية على أساس جميع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية والمصدقة من قبل الجمعية العمومية للأمم المتحدة في نيويورك.

إن قوى التحرر والتقدّم وأصدقاء الشعب الفلسطيني في العالم ومحور المقاومة لن تقف صامتة ومكتوفة الأيدي اتجاه هذه الصفقة السرطانية التي تقضي على الحق الفلسطيني ونضاله الجبّار إلى أن يتحقق أهداف هذا الشعب في نيل حقوقه وتقرير مصيره وقيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، على التراب الفلسطيني، وتضع حداً لغطرسة اليمين الصهيوني العنصر المتصرّف القائم على الاغتصاب والخارج ضد الإرادة الدولية وميثاق الأمم المتحدة.

إنّ الاتصال الروحي بالأرض المقدسة من قبل أوربا والاهتمام المسيحي بالقدس تجدّد بالدراسات الإنجيلية والتوراتية منذ أواسط القرن التاسع عشر، وشكّل الفوتوغرافيون كتيبة الاستطلاع في فلسطين من خلال تصويرهم للمعالم الأثرية والدينية التي أصبحت مألوفة في أوروبا وأميركا وتعرض هذه الصور إلى جوار صور العواصم العالمية.

وكان المبشر الإسكتلندي (جيمس غراها) سكرتير جمعية لندن للنشر المسيحية في أوساط اليهود، أول مصور مقيم في القدس منذ عام 1853م أما الفوتوغراف الأميركي (دوايت المندورف) صرح سنة 1901م في كتابه (حرب صليبية بالكاميرا على البلاد المقدسة) بأن تصويره للأماكن الدينية التي التقطت في كنيسة القيامة، وشوارع القدس، وبيت لحم، وطبريا، ويافا وحائط المبكى والتي ظهرت فارغة من الفلسطينيين تعتمد على مسرحة المشاهد الإنجيلية والتوراتية وعلى موديلات بشرية تجعل الصورة معرضاً للقصص الدينية وتظهر أن بلاد القدس (أرض بلا شعب).

واليوم، ومن صور جيمس غراهام إلى صور دوايت المندورف وصولاً إلى صورة القرار في يد ترامب تستيقظ عدسة أخرى لتذكير شهود التاريخ والجغرافيا بأن تلك الأرض المقدسة ليست بلا شعب ولم تكن كذلك. وإن قرارات ترامب لا يفعل أكثر من الالتزام الفعلي بتحقيق مطالب الإدارة الأميركية واليمين الإسرائيلي العنصري ولا يهم من يدفع الثمن، ففي النهاية ما يطبق على الأرض هو مبدأ الأمر الواقع المدعوم بقوة عسكرية وسياسية هائلة، ومع ذلك، البلدان الأخرى من المعسكر الغربي وقفت صفاً واحداً ضد قرار ترامب سفراء فرنسا، إيطاليا، بريطانية، السويد، وألمانيا، قرأوا بياناً مشتركاً في الأمم المتحدة أكدوا فيه أن اتخاذ هذا الموقف لا يتوافق مع قرارات مجلس الأمن ولا يساهم في نشر السلام في المنطقة.

وحسب المصادر الصحافية الإيطالية، هدية ترامب للإسرائيليين يمكن أن تكون جزرة تُخفي وراءها عصاً، وبالفعل في المستقبل، يمكن أن يكونوا هم بالذات من سيتحملون عبء قرارات تهدف إلى إرضاء الفلسطينيين.

ويقول محمد الإدريسي في مقالته:

(هل يمكن لفرنسا أن ترعى القضية الفلسطينية في المستقبل؟!) "ليس ترامب ولا إسرائيل من يحدِّدون القانون الدولي... ليس هناك (شعب مختار). هكذا عبَّرت الناشطة الفرنسية "أوليفيازيمور" قائدة الائتلاف الأوربي لدعم الشعب الفلسطيني برفقة المئات من الفرنسيين، عن شجبها لقرار ترامب بخصوص جعل (القدس عاصمة لإسرائيل" واحتجاجها حول زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتانياهو" لعاصمة الأنوار نظراً لكون القضية الفلسطينية هي قضية عنف تاريخي ضد الشعب الفلسطيني وضد الإنسانية، كما اختارت جريدة "ليبراسيون" التعبير عن سخطها على قرار ترامب من خلال استحضار سيرة المناضل والكاتب الفلسطيني الراحل (إدوارد سعيد) وتسليطه الضوء على نشر الوعي بالقضية الفلسطينية داخل فرنسا بفضل ترجمة كتابه الشهير (الاستشراق) سنة 1980 وتأثيره على مسار جيل كامل من الكتّاب والمثقفين الفرنسيين، لقد كان إدوارد سعيد خلال فترة ما بعد النكسة (صوتاً عظيماً لفلسطين ولجميع المثقفين غير الغربيين) بالعالم الغربي.

إن إمكانية لعب فرنسا دور راعي السلام الجديد بالمنطقة مع انخراط ماكرون في مسلسل البحث عن مخرج من هذه الأزمة وتفادي إغراق المنطقة من جديد في حرب أهلية مدمرة، والبحث عن مختلف السُبل الكفيلة بالإنهاء السلمي العادل للقضية الفلسطينية وارد في السياسة الفرنسية، كما يرى (ريتشارد فالك) أستاذ فخري في جامعة برينستون والمقرر السابق للأمم المتحدة في فلسطين.

(إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تتمتع حكومتها بالشجاعة لاختيار عاصمتها في مدينة تتجاوز حدود سيادتها المشروعة، وعلاوة على ذلك تخضع لمن يمارسون حقوقاً أعلى. وإسرائيل حتى الآن ترفض تحديد حدودها لأغراض القانون الدولي، ربما لكي تسمح لنفسها بتوسع أكثر إلى أن تفرض سيطرتها الكاملة على الأراض التوراتية المقدّسة، خطر الضمّ، على وجه الخصوص، يمكن أن يصيب شريحة من أراضي الضفة الغربية التي تشير إليها إسرائيل مستعينة بأسماء الكتاب المقدس، يهودا والسامرة، وهي بذلك تحاول أن تدعم الفكرة الزائفة بأن التقاليد الإثنية والدينية لها الأسبقية على القانون الدولي المعاصر.

ويرى ريتشارد فالك بأن أضرار مبادرة ترامب في الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة الأميركية إليها من المستحيل تحديد حجمها الآن على الرغم من أن العودة المحتملة للعنف والتطرّف السياسي المناهض للإرهاب الأميركي وحالة الحرب الموسعة في منطقة الشرق الأوسط ستعزى إلى خطأ دبلوماسي من قبل ترامب وبالمثل فإن الضرر الخطير جداً الذي لحق بسمعة قيادة الولايات المتحدة على الصعيدين الإقليمي والعالمي وينطبق الشيء نفسه على سلطة الأمم المتحدة التي أظهرت أنها لا تملك القدرة على تسوية النزاعات على الصعيد الجيوسياسي مما يضع القانون الدولي والرأي العام العالمي جانباً.

إن آفاق الدبلوماسية القائمة على الحقوق المتساوية للفلسطينيين والإسرائيليين قد انخفضت إلى الصفر، والأمل في تحقيق العدالة للفلسطينيين لم يعد من الممكن التنبؤ به حالياً.

ويروي الكاتب والمؤرخ البريطاني سيمون سيباغ مونتي فيور في كتابه: (القدس: السيرة الذاتية) جذور العنف التي تعلّق بالمدينة منذ آلاف السنين ويقرّ مونتي بأن عمله "لن يُرضي أحداً، ولا ينبغي له أن يرضي أي طرف. وفي معرض الحوار: في الآونة الأخيرة شجع العديد من المسيحيين في الغرب عودة اليهود إلى القدس، لماذا فعلوا ذلك والحال أن المدينة مقدسة في معتقدهم؟

يقول: منذ القرن السابع عشر، كانت هناك عودة إلى التفسير الحرفي للكتاب المقدس في بريطانية، حتى أن بعض العلمانيين، إلى حدّ ما، مثل رئيس الوزراء ديفيد لويد جورج، وآرثر بلفور، قد نشأوا في ظل حب الكتاب المقدّس الذي هو في الأساس حول قصة اليهود كانوا يؤمنون بعودة اليهود إلى القدس. ومن أكثر الأشياء الغريبة التي أدركتها هي أن الإمبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر ورغم أنها كانت تعد الحضارة الرائعة والقوة العقلانية، إلا أنها كانت تؤمن بهذه النظرة الإنجيلية للمجيء ثانية والعودة لليهود.

وفي الذكرى المئوية لوعد بلفور من المهم مراجعة مسار منظر الصهيونية الأول تيودور هرتزل لفهم فكره والتعرّف إلى التطوّرات التاريخية والفكرية للصهيونية، سيساعدان إلى حدّ كبير على حل القضية الفلسطينية بعيداً عن القراءات المضللة أو المتعصبة، دون التفريط في الدفاع عن الحق في الوجود الفلسطيني.

كتب محمد مستعد في مقالته كيف نفهم تيودور هرتزل؟

(قبل أن يصبح سياسياً شهيراً ويلقب بالأب الروحي لدولة إسرائيل، كان تيودور هرتزل (1860-1904) يهتم بالأدب ويكتب المسرحيات كما سيؤسس مع عدد من الأصدقاء جمعية أدبية اسمها (نحن الآخرون) وهو اسم قد يكون مُؤشراً مُبكراً في رغبته في إثباته هويته اليهودية.

مما سيؤدي لاحقاً إلى إشعال حرب هوايات ما تزال آثارها المدمرة مستمرة منذ 100 عام، في الشرق الأوسط، وكانت الهوية الفلسطينية إحدى ضحاياها الرئيسيين).

عاش هرتزل أولاً في هنغاريا ثم رحل مع عائلته إلى فينا وقام بعدة جولات في أوروبا وحصل على الدكتوراه في القانون في سن 24 ولم يعمل إلا في مجال الكتابة واشتغل في الصحافة مع عدّة جرائد في فينا وتفوّق في عمله.

وتساعد علاقة هرتزل بفرنسا وبالفكر السياسي الفرنسي كثيراً على فهم كيف تأسس الفكر الصهيوني، بداية على قواعد العلمانية التي تعتبر فرنسا إحدى مرجعياتها في الغرب، وذلك قبل أن تتحول الصهيونية إلى فكر يتبنى المرجعية الدينية أساساً لتبرير وجود الدولة العنصرية.

كما تأثر هرتزل في شبابه بكتابات معادية لليهود، ومنها كتاب (المشكلة اليهودية) للمؤلف أوجين دوهرين، كما تأثر لاحقا بموجات العنصرية واللاسامية المتصاعدة في فرنسا وفي معظم أوروبا، ولكن هرتزل سيقتنع في النهاية بضرورة إنشاء دولة إسرائيل وسيقوم بتنظيم مؤتمر (بال) الشهير في سويسرا، وكان أول مؤتمر للحركة الصهيونية العالمية جمع مئات اليهود عبر العالم لدعم فكرة الصهيونية وللتخطيط بشكل سري لإنشاء دولة إسرائيل في فلسطين.

كان كبار مُنظري الصهيونية ومنهم هرتزل وجولدا مائير يقولون لتبرير مشروعهم الاستيطاني قولتهم الشهيرة إن فلسطين: (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض).

وقد انتقد إدوارد سعيد في عدّة كتب ودراسات هذه الأطروحة الصهيونية الشهيرة وكان ينادي بحل الدولة العلمانية التي تجمع الفلسطينيين واليهود، كما انتقد اتفاقي أوسلو في 1993، التي أعطت الحكم الذاتي للفلسطينيين، واعتبر أنها فشلت في إحقاق الحق الفلسطيني، ويؤكد "من غير المقبول لأي شخص إنكار معاداة السامية والتجربة الرهيبة للهولوكوست ونحن لا نريد طمس أو عدم توثيق المعاناة البشرية لأي أحد، لكن في الوقت نفسه هناك فرق كبير بين الاعتراف بالمعاناة اليهودية واستخدامها لتغطية معاناة شعب آخر).

وتبقى مشكلة القدس قائمة، والفلسطينيون يعتبرون القدس عاصمة لهم، وقد رفضت السلطة الفلسطينية العرض الذي قدّمه إيهود باراك عندما كان رئيساً للوزراء، لتقسيم القدس إلى قسمين، وتقديم جزء من القدس الشرقية للفلسطينيين.

كما يعتبر الأميركيون القدس عاصمة لإسرائيل من خلال إقرار قانون عام 1995، ولكن الأمم المتحدة لا تعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وفقاً لقرار قديم صدر عام 1947، ونرى أن تكون القدس منطقة تتمتع بالحكم الذاتي، تحت حماية الأمم المتحدة.

حل يعتبره الفلسطينيون والإسرائيليون غير مقبول اليوم: شيء واحد على الأقل يتفقون عليه.

وتحتفظ جميع الدول الأوروبية بسفارتها في تل أبيب، وفي الوقت نفسه يطلبون من إسرائيل وقف جميع أعمال البناء والحفريات في القدس الشرقية، ولكن يبدو أنها قبلت على الأقل في الواقع أن القدس الغربية تخضع للسلطة القضائية الإسرائيلية.

انتظر

• حسن عماد

قالت أحبك فانتظر
أرجوك لا لا تعتذر
لا تترك الأشواق بل
ارحم فؤادي المنكسر
إني على تلك العهود
أبني فتاتي المنتثر
أبكي جروحا" لن تطيب
أبكي على حظي العثر
ارحم جنوني لم أزل
أتلمس الطيف العطر
وأحادث الأشياء فيك
في وحدتي أنا احتضر
كم من غياب هدني
وشحوب وجهي يختصر
كل الحروف تخونني
والحزن حولي ينتشر
في كل حرف مشنقة
مع كل سطر أنشطر
حتى دموعي أفصحت
لا عيب دمع ينهمر
إني انتظرت ولم أزل
طفلا" صغيرا" ينتظر
وعدوه أن يأتي الأمل
كي لا يموت وينتحر

إلى آخر قافية في مقلتيها

• ميمونة العلي

ملغومة بالحزن تلك السنبلة تقتاتها ذات انتظار أسئلة
ووضوء صبحي من دموع شقائها أحلامها مسكونة بالبسملة
يا حمص ما بال المعرش في العيون كأنه أعجاز نخل مثقلة
تتوشحين بصمت حزن أخضر قامات صبرك بالسؤال مخضلة
صمت كفيف القلب أو صمت جراد غط في ثمر الكلام ليأكله
كم يحلبون الغيم في حاكورة الفجر العتيق يغازلون المقصلة
وجع المسافة يشتهي من ألف موت باقة للذكريات المحلة
مدن صلاة لغموها بالمنى ومفخخ عتم المصير بأملية
مدن نساكنها وتسكن روحنا ولدت.. فقمطها الدواعش قنبلة
والقهر يصرخ من فتيل تمردي وجعاً يسير على دروب الجلجلة

تعزية

فجع الزميل د.أحمد علي محمد رئيس فرع الاتحاد بالقنيطرة برحيل والدته.

رئيس اتحاد الكتّاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي والمجلس والاتحاد يتقدمون إليه بخالص العزاء والمواساة.. راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ويسكنها الجنة، ويلهم أهلها وذويها الصبر والسلوان.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

الأدب الأسبوعي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول: مالك صقور
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: أ.محمد حديفي

مدير التحرير: د.حسن حميد

الإشراف الفني: نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني: مها حسن

هيئة التحرير: أمير سماوي، د. سليم بركات، سهيل الديب، علوش عساف، عماد نداف، محمد الحفري

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117240-6117241 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000.س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy
E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني hotmail.com@alesboa2016
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

آخر الكلام

•أ.محمد حديفي - رئيس التحرير

من ويلات الحروب.٢.

كنا قد تحدثنا في وقت سابق عن الكتاب الصادر عن وزارة الثقافة ـ الهيئة العامة السورية للكتاب الذي حمل عنوان «عذاب الروح» لمؤلفه «ميخائيل كيزيلوف» وقد قام بترجمته الأديبان: مالك صقور، وشاهر نصر، وبينا أن هذا الكتاب يتضمن مجموعة من القصص القصيرة، والقصيرة جداً، وهو عبارة عن رصد حقيقي لمعاناة المواطنين السوفييت، وبخاصة الفتيات حين قام الألمان بجمعهنّ وسوقهنّ إلى ألمانيا للعمل في ظروف أقسى وأصعب مما يمكن أن يتحمله بشر..

وفي هذه المقالة والمقالات اللاحقة سنحاول إيراد هذه القصص الواقعية كما قدمها مؤلف الكتاب، وهي قصص وحكايات يندى لها جبين الإنسانية، كما سيتضح من خلال الاطلاع عليها، وأولها حكاية الجدة التي تبدأ بالحديث المباشر عن الحفيد، الذي يقول مخاطباً جدته: جدتي يا جدتي لقد عثرت على عمي «ميتيا»، وعندها رفعت العجوز رأسها، وهي تنحني فوق حوض الغسيل، وسألت: أي عم؟ أجاب: عمنا.. ها هو ذا، وأشار بإصبعه إلى الصورة، وبعد ذلك ينتقل الكاتب لوصف الجدة فيصورها كيف أنها جلست على ركبتيها، وأخذت تمسح يديها بمئزرها وهي تنظر إلى الصورة التي تتضمن أربعة جنود يقومون بتذخير سلاح ما، وكل واحد منهم يؤدي مهمةً موكلة إليه..

وحينما تأملت الجدة الصورة راحت تئن وتبكي بحرقة، وعندها حضر الجد، وما إن رأى الصورة حتى راح يتمتم: يقاتلون في سبيل وطنهم.. وبعد ذلك تهالك على مقعد خشبي وأجهش بالبكاء.. ثم بعد قليل سأل الحفيدَ: من أين أتيت بالصورة؟ فأجابه: من حائط المدرسة إذ قام المشرفون بنصب لوحات جدارية تزيينية احتفالاً بيوم النصر، فرأيت هذا الملصق، وقرأته، وصعقت حينما اكتشفت أن بين هذه الصور صورة عمي «ميتا»، فجلبت الملصق بعد أن أخبرت المعلمة أن الصورة لي، ويمضي المؤلف في سرد الحكاية فيبين أن الأسرة أرسلت للجهات المختصة كتاباً تستفسر من خلاله عن مصير ولدها، وبعد فترة وبعد أن أزهرت أشجار الفاكهة وبلغت ثمار المشمش حجم «قذائف» المقلاع وصل الرد، فاجتمع الأقارب وفتحوا المظروف المتضمن الرد، وسحبوا منه ورقة رقيقة، وشبه شفافة، كُتب عليها أن الصورة في الملصق هي صورة «ديمتري إيفانوفيتش» الذي ولد عام 1921، وهو روسي الجنسية، ومواطن في مدينة «كورسك» ما يعني أن الصورة ليست للابن الذي تبحث عنه الأسرة، ويمضي المؤلف في سرد الحكاية فيقول: مرت عشر سنوات على هذه الحكاية، وذات يوم ماتت الجدة، فيصفها ترقد في النعش بلا حراك على غير العادة، وإكليل الزهور الورقي يحيط برأسها، وعندما فتحوا وصيتها قرؤوا: سيعود «ميتيا» إليكم حياً، فاسمحوا لي أن تبقى صورته إلى جانبي في اللحد..

إن المشهد كما يتضح لنا مأساوياً، وقد بين الكاتب حرقة الأهل وتلهفهم لرؤية ابنهم الشاب الذي غادرهم لساحات القتال، ومرت السنوات طويلةً ومرهقة وقاسية، وهم ينتظرون عودته أو على الأقل وصول خبر عنه يطمئن الأسرة أنه ما زال على قيد الحياة، وكل ذلك من دون جدوى فلا هو ميت، ولا هو حي..

ومن الجدير بالذكر أن قصصاً كثيرة لاحقة أكثر مأساوية أوردها الكاتب موضحاً أنها قصص حقيقية حصلت بالفعل..

ويكفي أن نتخيل حال هذه الأسرة وغيرها من الأسر لنعرف مدى المعاناة التي مر بها المجتمع السوفييتي إبان الحرب العالمية الثالثة، وأثناء الغزو الألماني، إذ كانت سنوات عجافاً ذاقت فيها الأسر مرارة الجوع والعري والقلق وفقد الأبناء.

وهذا يصور لنا مدى قسوة الحرب، وثقل وطأتها على الشعوب..

ومن الجدير بالذكر أننا نحن السوريين، وخلال هذه الحرب الظالمة التي شنت علينا، عانينا الكثير خلال السنوات التسع التي مرت، وما زلنا نعاني حتى الآن؟ فكم من أسرة تتلهف حرقةً، وتذرف الدموع، إما على شاب في ريعان الشباب استشهد، وإصبعه على الزناد، أو على ابن فُقد منذ سنوات، دون أن يعرف أحد عنه شيئاً، إنها الحرب التي لم تترك أسرةً سورية إلا وتأثرت فيها بشكل أو بآخر.

وإن كان هنالك من شيء نقوله في هذا المقام، فليس أقل من أن ننحني إجلالاً وتقديساً وتعظيماً لهؤلاء المرابطين على حدود الوطن من أفراد الجيش العربي السوري، الذين وضعوا أرواحهم على أكفهم، في سبيل أن يبقى الوطن مرفوع الرأس، موفور الكرامة، ومن الجدير بالذكر، ومن خلال الوقائع على الأرض، وصلنا إلى قناعة تامة، بأن هذه التضحيات ستستمر حتى تكنس آخر إرهابي من فوق تراب الوطن، وعندها ستعود سورية بكامل ألقها، مزهوة بالنصر والفخار، ليتفرغ أبناؤها لإعادة البناء، وهذا الأمر ليس ببعيد، لأننا أصحاب قضية مقدسة، وبعض أجزاء من أرضنا مستلبة، وقطعان أردوغان، وداعموهم من دول الخليج، والولايات المتحدة الأميركية، ما زالوا يحلمون بإبقاء موطئ قدم لهم فوق هذه الأرض، متناسين أن جحافل كثيرة جاءتنا غازيةً، ولكنها دُحرت عند أسوارنا، وقد عاد من تبقى منهم على قيد الحياة خائباً، ويجر أذيال الهزيمة والعار.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

قصص قصيرة عن الحب

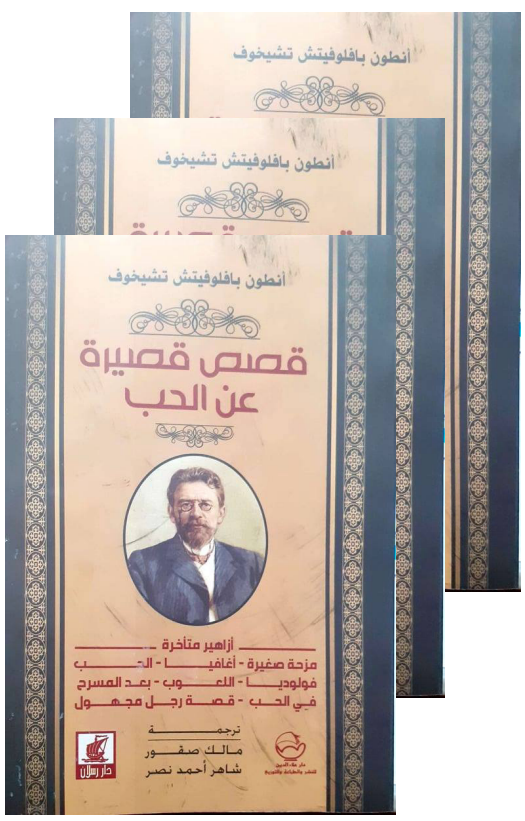

صدر عن دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع مجموعة قصصية بعنوان: «قصص قصيرة عن الحب» للأديب الروسي الكبير أنطون تشيخوف في ثلاثة أجزاء، ترجمة الأستاذ مالك صقور وشاهر أحمد نصر.

من أجواء الكتاب نختار:

«لقد أهدى تشيخوف الحبّ الوحيد الكبير للإنسان الذي يفكر بـ«أسمى غايات الوجود». لكن هنا يبدأ يصده لحن «أزاهير متأخرة»، فغوروف وآنا سيرغيفنا قريبين كلّ القرب واحدهما من الآخر «وبدا لهما أنّ القدر نفسه خلقهما الواحد للآخر، ولم يكن مفهوماً لهما لماذا كلاهما متزوجان؛ وكأنّهما طائران مهاجران، ذكراً وأنثى، قبض عليهما وأجبرا على العيش في قفصين منفصلين. لقد غفرا واحدهما للآخر كلّ ما كانا يخجلا منه في ماضيهما، وكل ما في الحاضر، وأحسا أنّ حبّهما هذا قد غيرهما كليهما».

وتمثل نهاية القصة واحدة من أهم النهايات التشيخوفية التامة والمفتوحة: يتقابل غوروف وآنا سيرغيفنا سراً، ويبحثان عن مخرج، ولا يدريان كيف يتحرران من هذا التبلبل الذي لا يطاق. والتبلبل بالنسبة للإنسان الذي يتفكر في أسمى غايات الوجود ليس عائلياً شخصياً فحسب. وتبين أنّ الحب الكبير لا يتلاءم مع تلك الحياة، التي يعيشها الآلاف ـ سواء في موسكو، أو في تلك المدينة الريفية النائية، ـ من دون أن نلاحظ تفاهة وسخافة وضآلة هذه الحياة.

وتختتم القصة بكلمات مهمة ومشهورة: «وبدا وكأنه لم يبق إلا القليل، ويُعثر على الحل، ثم تبدأ حياة جديدة رائعة. وكان واضحاً لكليهما أنّ النهاية لا تزال بعيدة ـ بعيدة، وأنّ أصعب وأعقد الأمور تلك التي تبدأ لتوها».

في عام 1892 وفي واحدة من رسائله بيّن تشيخوف، وهو يعبّر عن عدم رضاه عن حال الأدب المعاصر له، ويقوّم نقدياً إبداعه الذاتي، كيف ينبغي أن يكون، من وجهة نظره، الكتّاب الحقيقيون ـ أولئك «الذين نسميهم بالخالدين»: «إنهم يمضون إلى مكان ما، ويدعونكم إلى هناك، وأنتم تشعرون ليس بعقلكم، بل بكامل كيانكم، أنّ لديهم هدفاً ما.. وأفضلهم الواقعيون، الذين يصفون الحياة كما هي، لكن ومن جراء أن كل سطر يكتبونه مفعم ومشبع بعصارة وعي الهدف، أنتم تشعرون بضرورة وجود، فضلاً عن الحياة الموجودة حالياً، حياة أخرى ينبغي أن توجد، ويأسركم ذلك».

وينتمي تشيخوف نفسه إلى أولئك الكتّاب «الخالدين»، وقد طبق في كتبه هذا البرنامج».

يقع الكتاب في حوالي /375/ صفحة من الحجم الوسط.